حلم

هيثم أحمد

حلم
هيثم احمد
تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2018/2860
ترقيم دولي: 978-977-6594-35-7

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla,pub@gmail,com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

حلم

ألم يحن الوقت لتقرأ روايتك؟!

هيثم أحمد

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء

صديقي العزيز
كيف حالك؟
الوقت هنا يمضى سريعًا، يوما يدرك اخر وشهر يلاحق الذي يليه، يخفت ضوء القمر يتسلل البرد تتساقط الاوراق نشعر بالاكتئاب ثم تقسو علينا الشمس بلهيبها، فصولاً تتابع، توقعت ان تتوقف الارض عن الدوران حدادا او تبكى السماء سيولا او تصرخ كما صرخت أنا صامتًا لكن لا شيء يحدث هنا، هل الوقت يمر عندك سريعًا! هل تستطيع ان تراني! هل يصلك دعائي! أخبره يا الله كم كنت أحبه .
أغفر لي بكائي فانك لا تعلم مدى اشتياقي، فقط وددت ان أُهديك «حلم» فهو الوحيد القادر أن يبقي الوصال،أُهدي ذكراك إلى كل من احبك يوماً و افتقدك اليوم .

إلى
محمد حلمي
محمد إمام
هشام إبراهيم
رزان محمد

قبلها كان للحب معنًا واحدًا، ومعها تعلمت أن للحب
ألف معنى
غير هذا الذي اعتدنا عليه .

(ا)
مين السبب
«بياع القلوب»
فضل شاكر
ألبوم بياع القلوب – ١٩٩٩

في غرفة مساحتها لا تتعدى الأربع أمتار مربعة جلس حلمي وهو ينظر لبندول ساعة تعدى عمرها العشرين عامًا، يتابع تأرجحه بدقات منتظمة من قدميه، وهو يرتدي نظارته الطبية بعد أن مسح عنها بعض ذرات الغبار، وبابتسامة لم تفارقه منذ أعوام، ضغط على لوحة التحكم في الجهاز اللوحي لتعلن عن استعداده لاستقبال أول ضيوفه، بابتسامة مماثلة لتلك التي يبتسمُها حلمي فتحت الباب امرأة قد تخطت عقدها الخامس .

"جاهز يا حلمي؟"

قبل أن يجيب كانت موسيقى كلاسيكية تزين غرفته،

"أنا جاهز دائمًا بيكي يا حبيبة" .

لم يكسر هذا التناغم سوى امرأة في عقدها الثالث أكتسى وجهها بعلامات التوتر وقبل أن تجلس:

أنا بقيت مضغوطة جدًا يا دكتور، خلاص مش قادرة أنا فعلًا تعبت مش معقول تكون حياتي كده" .

مع ابتسامة صاحبت خروج زوجته .

"احنا لسه في الأول" .

أنا آسفة، بس أنا أساسًا بكون خائفة حد يشوفني وأنا جاية هنا" .

"ماتخافيش عشان أنت مش بتعملي حاجة غلط وممكن بقى تهدي" .

"هاحاول" .

"تمام، ممكن بقى تعبري لي عن مشاعرك دي دلوقتي" .

"ما هو أنا بقول لك أنا مضغوطة" .

"لا أنا عايز وصف للمشاعر، اعتبري الشعور ده حاجة ملموسة، يعني ممكن يكون لونه ايه؟ أكثر جزء بيتعبك لما تحسي بالشعور ده، ايه الصور اللي بتشوفيها، أنا محتاج أسمع شوية منك وافهم شعورك ده" .

"لونه وحاجة ملموسة!!"
"بالضبط، ممكن تغمضي عينيكِ لو ده هايريحك" .
"لونه ممكن يكون رمادي فاتح، أنا عمري ما فكرت في الشعور كده مش عارفة",
"خدي وقتك" .
"أنا كتافي وجعوني دلوقتي و أنا بفكر فيه" .
"هايل، برافو عليكِ" .
"نفسي بيكون ضعيف وجوايا غل ومش لاقيه له سبب" .
"تمام، تقدري توصفي الشعور ده؟ ممكن في جملة أو كلمة زي ما تحبي" .
"مشتتة" .
"في صورة بتصاحب الشعور ده؟"
"صورة!!"
بعد لحظات من التفكير:
"إني قاعدة في لجنة امتحان وعارفة إني هسقط" .
وقف حلمي وتوجه إلى لوحة بيضاء .
"ممكن تتخيلي الصورة دي على اللوحة؟"
"شيفاها" .
"طيب ممكن تقسميها أربع أجزاء؟"
"تمام" .
"غيري أماكنها وكرري الموضوع ده كذا مرة لحد ما الصورة تروح" .
تركها حلمي لدقائق حتى تشوهت الصورة في مخيلتها .
"كده الصورة تاهت" .
"ايه علاقة ده بمشكلتي؟"
"مشاعرنا دائمًا بتكون مربوطة بصور والمشاعر مش هتختفي غير لما تختفي صورها، حاولي تكرري ده دائمًا" .
"حاضر، هاحاول" .
"هايل، ممكن تقولي لي في علاقة بينكم؟"

"بشكل مستمر" .
"بتوصل العلاقة لمرحلة الحميمية؟"
"لا دي مش فاكرة أخر مرة وصلنا لها كان امتى" .
لا زلن جميعهن يتحدثن بنفس النبرة وبنفس الضعف، تختلف المشاكل وتظل الإجابات متماثلة، ولكن مسحة الحزن في عينيها أجبرتني أن أنهي اللقاء عند هذا الحد، على الرغم من أن اللقاء لم يتعد الثلاثين دقيقة .
"كفاية كده النهاردة" .
"أنا لسه محتاجه أتكلم" .
"هنتكلم كثير مع بعض، وماتنسيش اكتبي مشاعرك" .
"حاضر" .
"على ميعادنا بعد ٣ أيام" .
"على ميعادنا، شكرًا يا دكتور" .
"ماتنسيش الموضوع مش سهل ومحتاج شوية مجهود" .
"ربنا يسهل، تفتكر هاقدر؟"
"الإجابة عندك أنت لوحدك" .
يخرج حلمي دفتر ملاحظاته ويكتب،
ساعات طويلة أقضيها هنا بلا نتيجة ترضيني، يدخل من هذا الباب من يعقد آمالًا علي ولا أحد يدرك أنني أبحث مثلهم عن الأسباب .

***

بدأ العام الدراسي لعام ١٩٩٩\٢٠٠٠ الساعة السابعة صباحًا في غرفة ياسمين موعد لقائهم اليومي قبل بدء اليوم الدراسي، أسباب عدة تجعل شقة ياسمين هي المكان الأمثل للقائهن، الشقة تبعد عن المدرسة بثلاث دقائق سيرًا على الأقدام، ياسمين لها غرفة خاصة، ووالدتها تتجه للعمل مبكرًا ومع غياب الأب تبقى ياسمين بالشقة بمفردها مع أختها التي التحقت بالجامعة هذا العام، وأيضا لها غرفتها الخاصة، غرفة ياسمين مثالية لتجمع نسائي من أي نوع وفي أي عمر، ولأنهن أكثر الصديقات حظًا من وجهة نظر هبة كانت لديهن هذه

الغرفة، الغرفة السحرية كما تلقبها مها، كافة أدوات التجميل متاحة داخل علب مخصصة موضوعة بعناية على تسريحة كبيرة تنازلت الأم عنها لياسمين، أمامها يقبع السرير بينهما متر ونصف المتر مساحة تكفي غادة لتتمايل قليلًا وهي تستمع إلى أغانيها المفضلة، الدولاب على اليسار بالكاد تظهر أخشابه من كثرة المرايا، وعلى الحائط صور لكل من عشقته من المطربين أو الممثلين، وفي نهاية الغرفة مكتبة صغيرة معلقة تحتوي على شرائط كاسيت، هي مملكتهن الخاصة التي صنعتها لهن الظروف .

حضرت هبة مبكرًا بوجه منتفخ لاحظته ياسمين وحاولت أن تمعن النظر ولكنها فشلت فهي بالكاد مستيقظة .

"أنت مش نائمة ولا معيطة؟"

لم تكن هبة على استعداد لخوض نقاش، أشارت لها بيديها:

"بعدين، بعدين" .

على الرغم من هذا الانتفاخ الظاهر على وجهها ولكنه لم يخف جمالًا اعتادت هبة أن تتباهي به، هي أجملهن ظهرت عليها علامات الأنوثة المبكرة أطول بسنتيمترات عن صديقاتها، ظهر لثدييها استدارة قبلهم، بياض هادئ في الوجه تزينه عيون رمادية، يتناغم خصرها مع أردافها، لوحة مُعبرة عن جمال هادئ، ورغم كل القيم التي تضرب بها عرض الحائط إلا أن الجميع كان يعاملها معاملة الأميرات، ألقت هبة نفسها على السرير وضغطت على زر تشغيل الكاسيت ليظهر صوت مصطفى قمر:

" قد القلب ما لام على الحب أهو دق ورق وحب وطب" .

بلباس نوم لا يخفي شيئًا من مفاتنها، تحاول جاهدة أن تسابق عمرها، بدأت ياسمين في التمايل على أنغام نار الحب وهي تهز أكتافها بانسيابية، تتمتع ياسمين بأنوثة طاغية تستطيع أن تؤثر بها على رجال أكبر منها سنًا، هي ليست أجملهن ولكنها تهتم بتفاصيل تكفي لأن تجعلها أكثرهن إغراءً، ظلت تتمايل حين وجهت هبة إليها الحديث وهي بالكاد تفتح عينيها:

"بقولك ايه ماتعملي لي الحتة دي قبل العيال ما تيجي؟"

قالتها وهي تشير إلى بعض الشعيرات أسفل أنفها، دون أن تتردد توجهت ياسمين إلى التسريحة وهي تخطو خطوة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف بإيقاع يتناسب مع الموسيقى، حتى وصلت إلى إحدى علبها السحرية وأخرجت منها مستلزمات إزالة الشعر، وتوجهت إلى وجهها وهي تغني:

" يا حبيبي يا غنوة ليلية أرحم قلبي"، قاطعت هبة غنائها:

"وحياة أمك اوعي تعوريني بلاش فضائح" .

بأصابع مدربة ومتمرسة لفت ياسمين الخيط على أصابعها ووضعت طرف في فمها، وباحترافية بدأت في إزالة الشعيرات، كادت هبة أن تتحدث:

"بقولك ايه هاتتكلمي هاتتعوري وهاتقولي أنا السبب اسكتي احسن" .

مسكت هبة يد ياسمين لتتوقف:

"تصدقي محمد علاء وماهيتاب اتصاحبوا" .

حدقت ياسمين:

"أزاي يعني؟ ده الواد زي القمر وده صاحبها على ايه بقى إن شاء الله؟!"

لم تهتم ياسمين أن تكمل هذا الحوار فكل تركيزها كان مُنصب على وجه هبة:

"هو أنت مالك يا بت أنت معيطة ولا فيكِ ايه؟"

"انجزي طيب وأنا هاحكى لك" .

رن جرس الباب ثلاث رنات سريعة معلنًا قدوم غادة، وزنها زائد كالعادة وترتدي كوتشي على جيب طويلة وقميص داكن وضفيرة تصل إلى منتصف ظهرها، خمرية اللون وجهها مستدير تختفي ملامحه خلف هذا الوزن، لم تلق التحية على ياسمين أو هبة، ألقت شنطة المدرسة عند باب الغرفة وتوجهت إلى الكاسيت مباشرةً .

"ايه ده مصطفى قمر، طب أنا هاجيب أغنية بنلف، دي أحلى أغنية في الشريط، ده أنا بفكر أسجلها على شريط وش وضهر وافضل مشغلاها" .

لم تكن ياسمين قد أنهت عملية التنظيف:

"يخرب بيتكم برده بتعملوا البتاع ده؟!"

بدهشة ردت ياسمين:

"وهو أنتِ مش بنت ولا ايه؟؟ خليكي في الأغاني بتاعتك دي" .
"بنت بس في حاجات بتتعمل في أماكن معينة ، اسكتي بقى عشان اسمع" .
بدأت غادة في الغناء:
" بنلف نلف نلف نلف والسنين بتلف تلف تلف وجراح بتزيد وآلام وبتخف" .
إيقاع منتظم على الباب .
"طب افتحي الباب لحد ما اخلص هبة، تلاقيها مها" .
وضعت الكاسيت على وضع الإيقاف المؤقت وذهبت إلى الباب لتدخل مها، لم تلق غادة عليها التحية وعادت إلى الكاسيت مرة أخرى، طبعت مها قبلة على خد كل واحدة، صاحبة الابتسامة والتفاؤل اللا متناه والروح الأجمل، ميزان السعادة وخفة دم متحركة، بشرة بدرجة هادئة من اللون البرونزي، وعيون عسلية فاتحة، وملامح صغيرة وجسد لا يختلف كثيرًا عن تلك الملامح كانت مها أكثرهن رقة .
انتهت ياسمين وبدأت في ارتداء ملابسها ولكن مها لم تترك الموقف يمر:
"المرة اللي جاية سويت بقى يا حبيبتي" .
قالتها وهي تتظاهر بمضغ لبانة بتمايل كفتاة ليل متمرسة،
كانت الساعة تعلن عن الثامنة وعشر دقائق، لا زالت غادة تستمع لأغنية "بنلف"، وهبة تغسل وجهها من آثار إزالة الشعر، وياسمين وقفت أمام إحدى مراياتها لتتأكد من أن تجسيمة جيبتها القصيرة مناسبة، وفتحت أول أزرار القميص وحتى لا يظهر حدود نهديها ألقت بالقميص إلى الخلف كاشفًا عن رقبتها وأطراف من كتفيها، نظرت مها إلى ثلاثتهن:
"يلا يا بت أنت وهي مش هانخلص" .

***

"أدخل الضيف الثاني يا حلمي" .
"استني دقيقة واحدة ودخليه" .
أغلق الموسيقى الكلاسيكية ورش معطر خفيف الرائحة، ثم رفع نظارته للضوء ليتأكد إنه لا يوجد غبار عالق عليها .

"أهلًا، أهلًا" .
"أهلًا يا دكتور" .
دقائق من الترحيب وكلام مُرسل عن أحوال زوجته حين قاطعه حلمي بسؤال:
"أنت بتكره مراتك؟"
"لا، أنا مش باكرهها خالص يا دكتور، مين قال كده؟"
"طيب ليه أنا مش حاسس أن عندك مشاعر ليها؟"
"دي المشكلة أنا مابقتش عارف مشاعري ناحيتها، والصراحة بحاول أدور على المشاعر دي مع واحدة ثانية" .
"بتدور على المشاعر دي قصدك في حد ثاني بعينه؟"
"لا مافيش واحدة معينة بس دائمًا بيكون في واحدة تانية جوايا، ممكن تكون واحدة لسه عارفها أو واحدة كنت بحبها زمان، أي واحدة ماعنديش قاعدة ثابتة، المهم إني عايز أحس بمشاعر" .
"أنت اتجوزتها عن حب؟"
"حتى دي مش فاكرها، مش عارف شعوري كان ايه وأزاي وهل فعلًا كنت بحبها ولا كان جواز مبني على التوافق" .
"يعني ايه توافق؟"
"يعني صالونات بس مودرن شوية" .
"تفتكر ده السبب اللي مخليك عايز تحب؟"
"أنا هنا عشان حضرتك تقولي الأسباب" .
نظر حلمي إلى ضيفه ثم وضع نظارته على المكتب وبابتسامة خفيفة:
"أكيد هساعدك بس مش هاقدر اعمل أي حاجة غير لما تكون مقتنع من جواك"
طلب الضيف أن يشعل سيجارة ووافق حلمي وأشار إلى الشرفة:
"ما هو أنا باجي يا دكتور وبحاول اقتنع" .
"بس أنت لحد دلوقتي مش مقتنع وده هيعطل حاجات كثير" .
"دكتور أنا بحاول، اه قبل ما انسى فيه حاجة مهمة عايز اقولها لحضرتك" .
"قول" .

"أحيانًا بحلم حتى وأنا صاحي إنها عملت حادثة بالعربية وكل اللي فيها ماتوا" .
"بتحلم أن مراتك تموت! للدرجة دي أنت عايز تتخلص من المسؤولية؟"
"والله العظيم مش أمنية ولا نفسي إنها تحصل بس على طول في دماغي" .
نظر إلى شاشة الحاسب الآلي وتابع وميض مؤشر الحاسب قليلًا ثم أكمل الكتابة أخرج حلمي دفتر ملاحظاته ثم كتب فيه،
أنا لا أمتلك مفاتيح سحرية، لماذا يرفضون مساعدة أنفسهم؟ لماذا يخاف الجميع من مواجهة الحقيقة؟

****

في شارع صغير خلف المدرسة مباشرةً يقع مقهى الصعيدي، مثله مثل العديد من المقاهي، تلفاز تسع وعشرون بوصة مُعلق في منتصف المقهى يعرض أفلامًا أجنبية طوال الوقت عدا أوقات المباريات، نصبة داخل المقهى تطل على منور العمارة المجاورة، المساحة الداخلية للمقهى كبيرة إلا أن المعلم يُصر على استخدام الرصيف بأكمله حتى وإن أعاق سير المارة، هي مكان التجمع الأساسي قبل بدء يومهم الدراسي، وكثيرًا ما تكون الملجأ إذا ما قرروا "الزوغان" من المدرسة، من جهة أخرى هو مقرهم الرئيسي لمحاضرات يومية عن الطريقة المثلى للعب الشطرنج والدومينو أو حضور مباراة نهائية في الطاولة بين شيخين تخطا سن المعاش وقد ألهبا حماس جميع روادها، مدرسة الحياة كما يلقبها عماد .
مرتديًا جينز وقميص يظهر عضلات صدره ولا يخفي قوة ساعديه، وضع خالد علبة السجائر على المنضدة، رفع خصلات شعره إلى أعلى كم تمنى لو وافق والداه أن يترك لشعره العنان ويعصبه من الخلف، ولكنه لا يتلقى من والده سوى النقد على الرغم من غيابه الدائم، أزاح الفكرة عن رأسه وهو ينادي على صبي المقهى:
"يا سيد واحد خمسينه" .
أشعل سيجارة قبل أن يأتي الشاي، فلم يتذوق متعتها منذ السادسة من مساء أمس، لم تسنح الظروف أن يخرج من المنزل أو حتى أن يشرب واحدة داخل

المرحاض، على صوت محمد قنديل وأنغام أغنية "يا حلو صبح يا حلو طل"، بدأ في رشف رشفة سريعة من كوب الشاي ومزجه بنفس عميق من سيجارته، يستمتع خالد بالأغاني القديمة، ولكنه لا يفصح عن هذا الاستمتاع إلى أحد، مع النفس الثاني من سيجارته شعر بدوار بسيط مع وصول النيكوتين إلى صدره، في نفس لحظة وصل شريف مرتديًا (كابه) الأحمر المرسوم عليه بخط اليد، وكعادته أخرج القميص بكامله خارج الجينز في محاولة منه لإخفاء نحافته، وساعة بلاستيكية ظن أنها تزين معصمه، لا تستطيع كشف ملامحه بسهولة لشدة نحافته وبمجرد جلوسه سأل خالد باستغراب:

"ايه علبة السجائر دى! دي بيضاء؟"

"اه دي لسه جديدة" .

"يعني اروح للراجل اقوله هات واحدة أحمر أو أبيض؟"

"في ايه يا ابني؟"

أخرج شريف سيجارة من العلبة وبدأ يحركها بين أصابعه .

"شريف بطل لعب بالسجاير، أنت مش بتشرب، ده غير أن العلبة بقت ب ٣ جنيه و ٨٠ قرش" .

"بقولك ايه هو عماد كان زعلان منك ليه؟"

رغم الصداقة بين خالد وعماد إلا أن روح التنافس بينهما قوية، ضحك خالد إلى أن امتزج ضحكه بسعال:

"لا مافيش أصل من كام يوم عرفت إنه قاعد مع واحدة في مكان كده، أخدت واحدة تانية كان مصاحبها وورحت له بيها" .

"وعماد عمل ايه؟"

"ابن لعيبة، نفض للبنت صاحبته القديمة اللي كانت معايا خالص، وتاني يوم لقيته بيكلمها وبيصالحها ازاي مش عارف؟"

قاطعهم سيد القهوجي وهو ينظر إلى شريف:

"هاتشرب حاجة؟"

"لا احنا قايمين دلوقتي" .

تركه سيد والحسرة على وجهه وهو يتمتم: "اصلنا فتحنا حضانة هنا" .
سمعه عماد لحظة دخوله واحتد عليه:
"في ايه يا سيد ما تلم نفسك ع الصبح احنا عيال ولا ايه؟"
اختلف وجه سيد في لحظة دخول عماد، سيد يحلم أن يكون مثله بالسلسلة الفضة والنظارة الشمس وعلبة السجائر التي لا يتركها من يديه والشعر المصفف بعناية ولون بشرة هادئ، وسامة رجولية يتمناها أي رجل في تلك المرحلة العمرية، لم يهتم عماد بنظرات سيد وإنما توجه إلى خالد الذي لا يزال يستمتع بسيجارته الأولى ويحاول أن يخفي العلبة عن شريف، الذي شعر بمرارة لأنه لا يستطيع أن يتحدث لأحد حتى عامل القهوة مثلما يفعل عماد .
نظر خالد إلى عماد:
"كنت فين امبارح؟"
أشار عماد بأحد أصابعه كنوع من الاعتراض على خالد:
"وأنت فاكر إني هاقولك بعد كده!"
ضحك خالد من جديد:
"وأنت بيحوق فيك حاجة ياد أنا كنت مستنيك تتصل" .
ثم أكمل الجملة بإحدى السبابات المتداولة بينهم،
لا يعلم شريف عن ماذا يدور الحوار، ولكنه لا يزال ممسكًا بالسيجارة يحركها بين أصابعه، ويرسم مخطط وهمي للرد على سيد صبي القهوة المرة القادمة .
"اتصل بيك ليه مش كنا متفقين؟"
"متفقين إنك تتصل بي الأول" .
لم يخل الحوار من بعض السباب الذي وجهه كل منهما إلى الآخر خاصة عندما تذكر مقلب خالد، لا يستمر خلاف أي منهم طويلًا فرابطهم أقوى من أي خلاف
"مش مهم أنا لقيتك ماظهرتش، شقطت واحدة وطلعنا المقطم" .
يتدخل شريف في الحوار بإحدى أسئلته:
"أنت بتلاقيهم ازاي؟"
لا يا شيكو أنا مش بدور عليهم هم بييجوا لوحدهم" .

"مافيش حاجة بتيجي لوحدها لازم حد يجبهم" .
نظر عماد للصوت القادم من مدخل المقهى .
"سافل، بس والله العظيم ياد يا وائل كانت عايزاك امبارح، القعدة كانت رخمة",
بنظرة أسى تحدث صاحب الوجه الممتلئ والكرش الذي لازمه معظم فترات حياته .
"طب ما أنت عارف أبويا مافيش خروج بعد ٦" .
قاطعه عماد بسباب لوالده، لم يبد وائل أي اعتراض وأكمل:
"وهو أنت شايفني المهرج بتاع أهلك؟"
ضحك عماد وهو يتساءل:
"بقولكم حد عايز يروح المدرسة ؟؟"

***

نظرت إلى الحاسب الآلي وأنا أتابع وميض المؤشر ثم تابعت .
ظل حلمي يتصفح أوراقه ودفتر ملاحظاته بعد يوم أخر من لقاءاته، أخذ يقرأ ما كتب سابقًا ويدون ملاحظات جديد في دفتر ملاحظاته .

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

لا زال مكاننا المُفضل في الزاوية المنطوية يذكرنا، المنضدة التي شهدت على أول تلامس حب بأيدينا، الحائط يحتضن نفس الصور ونفس المشاعر نفس الذكريات تتسلل إلى قلبي، أصوات ضحكاتنا لا زالت تتردد في أذني، القسم المنقوش على تلك الأريكة بأن هذا الحب سيبقى، توسلاته أن أقبله كحبيب قبل أن يكون زوج، كل شيء كما هو لم يتبدل، عُدت مع ذكرياتي إلى الجينز وشعري المعصوب بحزام رفيع، وعاودتني همسات كلماته ووعد أننا سنبقى نحن وعشقنا معًا، ولكن تغير كل شيء فرغم محاولاتي المستميتة أن نبقى كما كنا إلا أن علاقتنا كانت تنهار تدريجيًا، وكلما تذكرت كيف كان إصراره على الارتباط أزداد حزنًا، وعلى الرغم من كل ما صار بيننا إلا أنني لا زلت أشتاق إلى صوته .
"الو، أنت عارف أنا فين دلوقتي؟"

"في حاجة؟ أنا مش فاضي" .
"لا مافيش" .
"أنت فين يعني؟"
عصبية غير مبررة في كل مكالمة لقد مللت .
"أنا في "سوا" دلوقتي" .
"اه طيب، وهو لسه موجود! سلام هاكلمك بعدين مش فاضي" .
كان "سوا" هو منزل الحب الذي خلقناه سويًا، دفعنا اسم المكان لاختياره، تعاهدنا هنا أن نبقى "سوا"، وأقسمنا على هذا مهما طال بنا الوقت أو اختلفت الظروف، تعاهدنا على قدسية مشاعرنا وعلى أن يزيدها زواجنا قدسية، ربما سذاجتنا كانت تقودنا ونحن نكتب هذا التعهد بدمائنا .
رغم الاختلاف الذي طرأ على مظهري، لكنه تعرف على بمجرد أن رآني .
"أزيً حضرتك؟ بعد السنين دي حضرتك جيتي تاني؟"
"ايوه، أنت لسه شغال هنا؟"
"اه، بس أنا بقيت المدير يا افندم" .
"برافو عليك بجد" .
"الاستاذ اخباره ايه؟ بقالكم يجي خمس سنين ماجيتوش" .
"لا ستة مش خمسة" .
"امانة تبعتي سلامي للأستاذ، هو جاي؟"
"لا" .
"طيب حضرتك تحبي تشربي ايه؟"
"ممكن قهوة مظبوطة" .
سيجارة أخرى لن تضر، كل شيء يتذكره إلا هو لم يعد يتذكر شيئًا، ونسيت معه نفسي كيف نسي!!
- "الو" .
- "ايه تاني؟"
- "لا خلاص، سلام" .

صوته سيزيل متعة اللحظة .

***

(دفتر الملاحظات - العقل)

أكثر ما يغضبني هو شعوري بالإحباط وأني سيئة بلا قيمة وأنه منّ علي بالزواج، أنا من أنجح فتيات جيلي وأنجح صديقاتي، أشغل منصب مرموق في الشركة التي أعمل بها، رأيي مسموع في كل القرارات المصيرية، رغم سني الذي لم يتخط الخامسة والثلاثين، ولكني أحظى باحترام وتقدير من الجميع، لكن لا أحظى بمثل هذا الاحترام والتقدير في منزلي، أتحول إلى خادمة دون أجر بمجرد أن أخطو إلى المنزل، أتلقى تشكيلة مختارة من أجود الإهانات الزوجية، كثيرًا ما أشعر إنه عقاب على رفضي لـ . . . .، أخاف حتى أن أذكر اسمه فتنهمر ذكريات لا أقوى على تحملها، لم يعد يجمعنا أي شيء وأصبح الرابط الوحيد بيني وهذا الشخص الذي حُسب علي كزوج الرسائل النصية فقط .

"محتاجة لبن للبنت من فضلك، هات وأنت راجع" .

"هو مليون مرة بقى" .

"أنا بس بافكرك" .

حتى ما يخص ابنته لم يعد يهتم به .

ليس ذنبي شعوره بالغيرة من نجاحي واختلاف المستوى الاجتماعي، ولكن ذنبي الوحيد أنني أخطأت الاختيار، لم يعد وجوده من عدمه يعنيني، لم أعد أراه أو أسمع صوته وهو ينتقد كل ردة فعل مني، هو الآن لا شيء سوى خيال أب بدأ يتلاشى، لا سبيل سوى الانفصال، أنا فقط لا أملك شجاعة اتخاذ هذ القرار أو ربما أحتاج إلى دفعة وبعض الوقت .

لا يوجد من ينقذني سواه صديق مشترك بيني ومن فطرت قلبه .

"الو أنت في الشغل؟"

"لا أنا قاعد على البحر باخد تان" .

"يا سخيف" .

"ما هو ده مش سؤال برده" .

"ممكن طلب" .
"عارف أنت عايزة ايه، هو كويس وزي الفل وبطلي تسألي عنه كفاية" .
"والله مش بحبه خلاص، بس صعبان علي وندمانة إني سبته" .
"تعرفي أنت سألتيني السؤال ده كام مرة؟"
"عارفة" .
"طيب والإجابة بتكون ايه؟"
"لازم نتحمل نتائج اختياراتنا ونتقبل البدائل" .
"لا في حاجة كمان، إن ارتباطنا بالحاجات القديمة شوية كلام فارغ، وبتقتل اللي فاضل من مشاعر ممكن نعيش بيها، وسلام بقى دلوقتي، هاكلمك كمان شوية"
"أنت رخم جدًا، سلام" .
"أنا خايف عليكِ من نفسك، خلي بالك" .
"سلام، ماتخافش" .

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

كان قراري بالتغيير نابعًا من يقين داخلي، كنت محتاجة قوة أتقرب من ربنا، وقررت ألبس الحجاب دون أي إجبار من أي نوع، قناعاتي ثابتة وأن هذا هو الزي الإسلامي الذي فرضه ديني علي وعلى غيري، أعرف ديني جيدًا لست مسلمة اسمًا فقط، أحيا لزوجي حتى لا ينظر لغيري أبدًا، وأقتدي بالسيدة خديجة وأعرف واجباتي جيدًا، وبالرغم من كل هذا لا يعجب، خلافات شبه يومية وعلى أتفه الأسباب .
"يا شيخة يا رب أموت واريحكم" .
هكذا ينهي مشاجرته معي، هروب مستمر من المواجهة، ضعف في الشخصية ورفض لمعايشة الواقع، ثم يهدأ قليلًا:
"يا شيخة اتقي الله في نفسك أنت مش معقولة" .
كعادتي مؤخرًا أصمت، لم أعد أمتلك الطاقة لأستمر، أصبحت سيناريوهات ثابتة دون أي تغيير، سيهدأ مرة أخرى ويطلب مني الاستغفار والصلاة ويترك المذياع

على القرآن ويستعيذ بالله من الشيطان الذي دخل بيننا، أنا لا أنكر فضل الصلاة والقرآن ولكنهما ليسا فقط الحل، الحل بداخلهما وعلينا أن نبحث لنجده .
"استغفري ربنا وصلي ركعتين، مش عارف بس احنا وصلنا لكده ازاي!"
أضحك الآن، أنا أعلم كل تفاصيله وهو لا يعلم شيئًا عني، لا يزال متيقن أن خلافاتنا طبيعية ولا يدرك أن مشاعري تخطت الحدود الطبيعية .
للمرة الأولى في حياتي أدرك كيف تخون الزوجات أزواجهن، لقد فقدن المشاعر ليشعروا بالندم، وأنا لن أفقد مشاعري لأنني لو فقدتها لن أكون مثلهن ولكني سأنفصل عنه بهدوء .

***

(دفتر الملاحظات - القلب)
"أنت بقيت أناني جدًا" .
"أنا خايفة لتكون بتخوني" .
"حرام عليك امتى هاترجع زي الأول؟"
هم الجمل الثلاثة الأكثر تداولًا داخل جدران منزل الزوجية، أوشكت زوجتي أن تكتب هذه الجمل على أطباق المائدة .
"والله العظيم حرام عليك، أنت مش متجوزها عن حب!"
"اه" .
"طيب مالك؟ ده أنت حفيت ورها" .
"كنت حمار" .
هكذا ما يبدأ صديقي معاتبتي على أسلوبي في الحديث عنها .
"يا ابني أنت مش متخيل احنا بقينا عاملين ازاي! دي فظيعة" .
"يا حلوف أنت دي كل ما تكلمني تعيط" .
"طب ما أنا ممكن اصوت والطم كمان لو حابب" .
قالها وهو يبتسم ويأخذ نفسًا عميقًا من الشيشة، ثم أكمل وهو يضحك بصوت لفت انتباه قاطني القهوة:
"اكيد كمان قالت لك خاين وأناني ومش زي زمان" .

لم تكن حياتهما تسير بصورة جيدة رغم قصة الحب، تحولت الحياة تدريجيًا إلى معركة يريد كل طرف فيها الانتصار، هي لا تهدأ إلا عندما تعقد حاجبيها وتتعمد انتقاده في أهم مميزاته، وتستمر في صراخ متواصل دون سبب مفهوم .
"وأنت عرفت منين إنها قالت لي كده؟"
"اللي ربي خير من اللي اشترى" .
"طب بلاش اللي في دماغك، أنت مش قد جوازتين" .
"بص يا صديقي العزيز أنا هاعمل اللي أنا عايزه، ويلا عشان نلعب" .
***

(دفتر الملاحظات - العقل)

كانت الفتاة المثالية التي حلمت بها لتكون زوجتي، خضت حروب كثيرة – حتى مع نفسي – قتلت مشاعر داخلي لأحظى بها زوجة، أسوأ أيامي كانت تلك التي تمر دون أن أخطو خطوة أقرب إليها، كنت دائم المحاولة للتقرب منها والحديث معها، كنت أشتاق أن أتحدث بنفس أسلوبها، صرت مهتمًا بكل ما تهتم به، ليس بدافع الحب ولكنها كانت الوسيلة لتحقيق هدفي، إلا أنني أعترف أنني ظننت إني أحبها، وعدت معها إلى كتابة خواطري، عشت معها حلم حتى استيقظت منه على كابوس، فقدت بسببه حبي الحقيقي الوحيد، فقدت حب طفولتي ومراهقتي وشبابي، ولكن رغم فشلي معها أنا لا أقوى على العيش دونها، أصبحت جزءًا من صورة اجتماعية رسمتها لنفسي لو رحلت سأخسر كل شيء .

بمجرد شعوري بهذا الضغط أنعزل عن الباقين وأخرج للتدخين وكتابة بعض الخواطر على هاتفي، والتي اعتدت حذفها بمجرد الوصول للكلمة الأخيرة .

"بقى لي من عبيرها ذكرى تطل بين الحين والآخر على ما تبقى من مشاعر، فيمتزج عبيرها بدمعة تسقط رغمًا عني لتعطر ما بقى من روحها داخلي ويتبعها دموع انهيار على باقي روحها التي ما عادت تُسَكَّنُني" .

ضغط على خيار الحذف بمجرد دخول أحد زملائه .

"مالك؟ شكلك تعبان" .

"لا مافيش كله تمام بس مش نايم" .
"اللي يشوفك يقول بتعيط!"
ضحك بصوت مرتفع وهو يقول:
"أنا اعيط" .
وقال لفظ اعتراضي ليبدي عدم اهتمامه وتركه .
***

(دفتر الملاحظات - الروح)

داخل المسجد الذي يتابع فيه درسه الأسبوعي .
"الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" .
"صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يا شيخنا" .
"شوف أنت في صدرك ايه يا ابني، وأنت هاتعرف المشكلة" .
"أقسم بالله مش باعمل لها حاجة" .
" من حلف بالله فليصدق" .
"يا شيخنا بس" .
"لا بس ولا غيره، ربنا يا ابني خلقنا مختلفين، شغف النساء غير شغفنا، ما ينفعش الأدوار تتبدل، ناموس الكون يختل وتحصل مشاكل" .
"حضرتك تقصد ايه؟"
"بحكم التطور حاجات كثير أتغيرت في سلوكياتنا، النساء بتعمل شغل الرجالة والعكس، نصيحتي ارجع للفطرة" .
"مش فاهم" .
"من اللي أنت بتقوله إنها متحملة مسؤولية حاجات المفروض أنت تعملها" .
"ما هو أنا على طول مش فاضي" .
"بداية الانهيار البحث عن الحجج" .
تركت الشيخ ولم أصل عنده إلى ما يشفي صدري، أنا غير جميع الأزواج، أتركها تخرج مع صديقاتها وقتما تشاء، أجالس الأطفال، وكثير ما أقوم بأعمال في المنزل ماذا تريد! لم أقو عن منع نفسي وأنا أضغط على زر الاتصال بها .

"يعني أخرتها ايه؟"
"اخرت ايه؟"
"أنا باعمل لِك كل حاجة أنت عايزاها، خروج ودلع وفسح" .
"وهو أنا مش بعمل" .
"لا أنت عايزة كل حاجة بطريقتك" .
"ايوه أنا عايزة كل حاجة صح" .
"عمرك ما هاتتغيري أبدًا" .
"أنا اللى اتغير! أنا هاقفل من فضلك ماتتصلش" .

***

بعد يوم طويل وفي جو اتسم طابعه بالهدوء إلا من صوت بندول الساعة وهو يخترق الهواء فتحت حبيبة الباب .
"خلاص يا حلمي مافيش ضيوف تاني" .
نظر إليها بابتسامة لم تفارق نظرته إليها .
"طيب تعالي أقعدي معايا" .
خلعت ذاك الرداء الأبيض وعلقته على شماعتها الخاصة ثم حجابها .
"يعني اقعد واعمل فيها ضيفة" .
وقف حلمي أمامها واحتضن يديها ثم اتجه بها إلى الشرفة التي حولها إلى مشتل صغير .
"تعرفي يا حبيبة أنا طول عمري نفسي أعترف لك بحاجة، بس بخاف" .
"عايز تعترف بأية؟ مخبي ايه يا دكتور؟"
"عندي اعتراف، بس هاحكي لك شوية قصص كده" .
"قصص، واعتراف! مالك يا حبيبي؟!"
"أنا حاسس إني مُقصر في حبك" .
"أنت مُقصر، أنت!! أنت حياتي وإياك تقول كده تاني" .
جلس حلمي على كرسيه الهزاز وهو لا يزال ممسكًا بيديها .
"لا يا حبيبة أنا قصرت، أحيانًا كثير مشاعرنا بتتغير" .

نظرت إليه بنظرة ثقة .
وارد يا حبيبي، يمكن عشان بنتعود بس بنرجع تاني" .
"حياتنا فيها حاجات كثير ومشاعر أكثر وفكرة التعود دي شماعة بنتحجج بيها" .
أشارات حبيبة إلى مكتبه .
"حلمي هو الاعتراف والتقصير والقصة ليهم علاقة بالورق الكثير ده، ولا أنت عايز تتجوز تاني؟"
"أنا اتجوز عليكِ، ده أنا ابقي غبي لما اكون عايش بيكِ واروح ادور على واحدة تانية عشان تاخد منك حته مني" .
"ايه يا حلمي ده، لا ده أنا ممكن اشوف لك عروسة بعد الكلام ده" .
عاد حلمي إلى مكتبه ووضع نظارته على المكتب، ثم أشار اللي أوراقه المُعلقة أمامه وهو يحاول بها ترتيب أفكاره .
"سيبيني احكي لك طيب وبعد كده نشوف موضوع الجواز ده" .
أخذت نفس وهي تبتسم ثم جلست على الأرض ووضعت رأسها على فخذيه .
"قول" .
أخذ يداعب شعرها واعتدل في جلسته وأغمض عينيه .
"كل تفصيلة في حياتنا ليها قصة والورق ده فيه رواية مشاعر كثيرة" .
"يعني أنت هتكتب رواية عن مشاعرنا" .
"تقريبًا" .
لم تستطع مقاومة النوم احتضنت ساقيه بقوة وظلت تتثاءب حتى خارت جفونها، ظل على وضعه يداعب خصلاتها بيده اليسرى وأمسك باليمنى قلم وفتح دفتر ملاحظاته وبدأ في الكتابة .
ترك حلمي القلم بعد لحظات ثم مال نحوها وبالكاد طبع قبلة على رأسها شعر معها بآلام حادة في ظهره، ولكنه عاد لوضعيته السابقة .
استيقظت من حركة لا إرادية في قدميه تصاحب آلام الظهر .
"أنا هاقوم يا حلمي اقعد جنبك على الكنبة" .
تابعها بكل حواسه، ثم وضع فواصل داخل دفتر الملاحظات، وكتب على الفاصل

الأول القلب والثاني العقل والثالث الروح، ثم أمسك الملف الأخير واحتار في اختيار عنوان له، فتركه بلا عنوان .

ظل مؤشر الحاسب الآلي يومض أمامي، نظرت حولي في الغرفة الخاوية علي أجد من يؤنث تلك الوحدة، ولكن المكتب الصغير والسرير الذي يصدر أصواتًا أكثر من أصوات فئران المبنى مجتمعة، وهذا الدولاب لا يكفون لمشاركة وحدتي، أستمتع فقط ببندول الساعة وهو يخترق سكون الغرفة، لا يزال هناك شيء منتظم في حياتي، أغمض عيني وأتذكر سنوات تمر أمامي مع مطلع كل الفجر، أتذكر معها عبودية وثنية عشتها باحثًا عن سعادة واهية في كل امرأة التقيتها يومًا، رسائل فوق عقلي تتراكم وأحلام رافقت نومي ورحلا سويًا، ولم تبق إلا علاقة وحيدة بين أصابعي ولوحة مفاتيح وهذا المؤشر الذي يومض كلما توقفت عن الكتابة وها أنا أكتب من جديد .

كل علاقة كانت مبنية على سبب، الأولى مبنية على حب القلب، والثانية كانت مبنية على حب عقل، أما الثالثة فكانت زيجة مرتبطة بحب الروح، أما الأخيرة فأنا لا أجد لها توصيف كانت علاقة مبنية على متطلبات مختلفة، كل واحد منهما كان منتظر نتيجة واحدة من هذه العلاقة .

ترك حلمي القلم وعلامات الرضا تعلو وجهه وهو ينظر أمامه، وأنا أنظر إلى وميض المؤشر من جديد إلى أن قرر حلمي الاستمرار في الكتابة، في الجزء الأخير الذي لم يجد له وصف وهو يبتسم .

الملاحظة الأولى الملف الرابع: "لما جت لي أول مرة كانت هادية جدًا وأفكارها مرتبة بشكل مرعب، صريحة جدًا مع نفسها، خلتني للحظات حاسس بالعجز قدامها، سألت نفسي كثير ودي أنا أساعدها أزاي؟ السؤال ده فضل معايا طوال اللقاء الأول، وهي بتحكي لي قالت لي إحنا ماعندناش مشكلة واحدة، مافيش مشاكل لدرجة إن حتى مافيش نقاش على أي حاجة، كان الحل الوحيد اللي قدامي وقتها إني اقول لها تطلق لأني فعلًا مش عارف أقول لها ايه وكنت رافض فكرة الطلاق" .

الملاحظة الثانية الملف الرابع: "هو بقى لما جالي أول حاجة قالها إنه مش بيعترف

بالناس اللي زي حالاتى وإن أحنا ناس فاضية، بس جاي تقريبا عشان وعد مراته، هو كمان كان صريح مع نفسه لدرجة إنه عارف أن عنده مشكلة بس مش معترف بطرق حلها وده كان كويس" .

الملاحظة الثالثة الملف الرابع: "لما سألتهم ايه اللى ممكن يسعدكم؟ كانت إجابتها إنها محتاجة تطلق وهو قالي أنا مش عايز أطلق أنا عايز واحدة جديدة في حياتي يمكن تحسنها" .

نظرت حلمي إلى حبيبة وهي تتثاءب .

"ايه موضوع الملف الرابع ده؟"

"حياتهم كانت مثالية جدًا، تعرفي يا حبيبة الحياة المثالية دي هي أفشل علاقة ممكن تحصل وفشلها بيعدي الخيانة" .

ترك حلمي القلم وتابع دقات بندول الساعة وعدت لأتابع وميض المؤشر .

٢
النفسية السوداء
«خسرت إيه؟»
ديانا حداد
ألبوم جرح الحبيب - ٢٠٠٠

ويبقى الانتصار في معركة الحب هزيمة .

"في واجب لازم يتعمل بس ممكن ندردش فيه شوية الأول" .
"واجب! حاضر" .
"تقدري تعترفي بأسوأ صفاتك مع جوزك" .
"طبعًا" .
"هي ايه؟"
"أنا بتوتر بسرعة جدًا" .
اعتدل حلمي وهز رأسه فهو يعلم أن الإجابة الأولى خاطئة دائمًا .
"لا مش بسأل عن نقاط ضعفك، أنا بسأل ايه هي أسوأ صفاتك؟"
كعادتهم بعد هذا السؤال، فترة انتظار قد تطول إلى اللقاء التالي .
"يمكن اكون جوايا غل" .
"لا برده" .
"أنا مش فاهمة" .
"في وقت الخناق بتكوني عاملة ازاي؟ يعني بتكوني سلبية ولا بتتهمي جوزك؟ ايه اللي بتستخدميه في الدفاع عن نفسك؟"
"مش عارفة" .
"هو حضرتك بتيجى هنا ليه؟"
"عشان عايزة اعيش مبسوطة" .
"تمام، يبقى لازم تفكري في صفاتك السيئة مع جوزك اللي بتستخدميها في أوقات الدفاع عن نفسك، أنا محتاج إجابة" .
"مش عارفة" .
"فكري كويس في اللي أنا باقوله ونكمل المرة اللي جاية" .
ردود أفعال ثابتة إما الصمت أو دهشة .

***

انتصف اليوم الدراسي وأعلنت عقارب الساعة عن الثانية عشر ظهرًا، الفسحة هي المتنفس من رتابة الحصص المتتالية وضغوط بلا قيمة، لكنها من المرات القليلة التي تترك هبة الفسحة لتجلس في الركن الأخير من الفصل، تحاول جاهدة أن تسيطر على دموع في عينيها، ظلت طوال ليلتها مستيقظة تتألم وتعاتب نفسها، اكتمل هذا المشهد الكئيب مع تلك المروحة التي تدور على أبطأ درجاتها، لتقطع خيوط شمس بالكاد هربت من الستائر المعلقة بطول شبابيك الفصل، لتضفي لونًا يميل إلى اللون البني أخفى تفاصيل لوحات الإيضاح المعلقة خلفها، تتوسط الحائط لوحة شرف تضم صور للطلاب المثاليين على مدار الشهور، تحتفظ مها بمكان دائم لها في هذه اللوحة، أخرجت بعض الصور من حافظة نقودها وبدأت في تمزيقهم ليزداد الوضع سوء، هبة و ياسمين لهما علاقات عاطفية متعددة ولكن لم تصل إحداهن قط إلى هذه المرحلة من الانهيار .

"في أيه أنت بتعملي كده ليه؟"

لم تبد هبة اهتمامًا كبيرًا بما تقوله غادة وعادت إلى البكاء.

"أنا قلت مليون مرة مافيش حاجة اسمها ارتباط وصحوبية، أنت هبلة جدًا وطظ فيهم" .

لم تكمل غادة كلامها فقد لاحظت مدى انهيار هبة فاحتضنتها وتركتها لتهدأ قليلًا .

غادة هي أكثرهن تحليلًا للمواقف، تستمتع وهي ترسم صورة كاملة لأي موقف لتبدي رأيها فيه، لها أحلامها وقناعاتها الخاصة منذ أن شُكلت رومانسيتها على فيلم " only you"، وأفلام كثيرة توالت على مدار سنوات مراهقتها، تعلم جيدًا أنها سوف تحظى يومًا بحب العمر، وأنها ستكون في سعادة ابنة عمتها وهي تنظر إلى زوجها في ليلة زفافهما، رغم أحلامها الرومانسية إلا أن جميعهن يؤكدن أنها أخر من سيتزوج، وكن دائمات الترديد: "يا بنتي مين هايتجوز واحدة معقدة قوي كده زيك!"

نظرت غادة مرة أخرى إلى هبة:

"الفسحة قربت تخلص وأنت شكلك معيط" .
"أعمل ايه يعني؟"
قالتها هبة بصوت متقطع وهي تحاول أن تلاحق أنفاسها المتسارعة وكلما تذكرت هذا المشهد وهو يمسك بيدي صاحبته السابقة تزداد غضبًا .
"قومى اغسلي وشك بلاش هبل بقى" .
"أنت مش فاهمة حاجة سيبيني" .
وضعت رأسها على "الديسك" وهي تردد بصوت منخفض: "سيبيني بقى مش هاتفهمي"، وهي لا تعلم كم الآلام التي سببتها تلك الجملة لغادة، نظرت غادة إلى هبة وهي تبكي ولسان حالها يقول: "يا ريت يبقى ليّ صاحب كده ولما اعيط يصالحني، نفسي احب واتحب زيك كده، نفسي أفهم" .
لم تكن ياسمين ومها قد لاحظتا بعد اختفاء هبة وغادة، ياسمين هي الساعد الأيمن لهبة، وهبة هي ساعد ياسمين الأيسر، لا يختلفان أبدًا على فعل كل ما هو غير تقليدي أو اعتيادي، لا يعنيهما كثيرًا العادات ولا تضعان حدًا لأفعالهما، ياسمين أكثرهن تحررًا أو كما كانت تلقبها غادة أكثرهن شعورًا بالحر، هي لا ترتدي سوى القميص المدرسي بأفتح ألوانه وبادي بالكاد يخفي ملتقى النهدين، دائمًا ما كانت تمر غادة بيديها على حدود حامل صدرها لتؤكد لها أنها تراه بشكل واضح، وكانت ياسمين لا ترد سوى بابتسامة ثقة، ياسمين مقتنعة إنه جسدها وعليها أن تستمتع به بالصورة المثلي، بمجرد أن لاحظت مها وياسمين اختفاء هبة وغادة اتجهتا مسرعتين إلى الفصل، وبمجرد أن رأت مها انهيار هبة أدركت أن عليها استخدام إحدى أسلحتها لتخفيف حدة الموقف .
"هو خلي بيكي يا مسكينة!"
إجادة مها للتلاعب بصوتها جعلهن يضحكن حين أدركن أنها تقلد صوت مشرفة الدور الأكثر رعبًا، استمرت في إتقان دورها وهي تحرك رأسها يمينًا ويسارًا تمامًا كالمشرفة .
"والله ما هو فالح أبدًا، حد يسيب القمر ده!"
تطبع مها قبلة على خدها وغادة تنظر إليها وعلامات الاستغراب قد تحكمت

بملامحها، أخيرًا ابتسمت هبة ومرة أخرى تتساءل: "هو أنا ليه ماعرفتش اضحكها زي مها؟"
على الرغم من الابتسامة لاحظت ياسمين شيء غريب في ابتسامة هبة، مالت عليها وبصوت خافت:
"هو أنت بتحبيه بجد؟"
تهتم ياسمين إلا تتمادى هبة في علاقتها رغم أن ياسمين تتمادى لما هو أبعد .

***

"دكتور حلمي عندي مشكلة مش عارف ليها علاقة بموضوعنا ولا لأ؟"
"كل مشاعرنا مرتبطة ببعضها" .
"لا ما هي دي مش مشاعر دي مشكلة" .
"المشاكل بتأثر في مشاعرنا، مين قال أن المشاعر حب وكره بس؟"
"أنا مش بعرف أكمل أي حاجة للأخر، بمجرد إني أبدأ فيها بكون كلي حماسة، بس بعد شوية صغيرين بأزهق وماكملهاش" .
"كل مشكلة لينا جواها بداية، عايزك تحكي لي كل حاجة في حياتك تقدر تفتكرها بدأتها وما كملتهاش" .

في جلسة دامت قرابة الساعتين أخذ يتذكر مواقف كثيرة إلا إنه استوقفني إصراره على اعتراضي في اللحظة التي ربط بين مشكلته وبين حبيبته الأولى التي تخلى عنها .

***

جلس مترددًا داخل إحدى قاعات البلياردو والتي تبعد قليلًا عن مدرستهم، وهو يأخذ أول نفس من سيجارة بتوجيهات من عماد .
"لا مش كده يا شريف، كده أنت بتنفخ، خد النفس لجوه" .
كمدرب في صالة رياضية يصف الطريقة الصحيحة لأخذ الشهيق، استمر عماد في شرح الطريقة المثلى للتدخين، بدأ شريف في سحب نفس آخر بالطريقة التي وصفها عماد حين بدأت رأسه بالدوران، ومع النفس الثالث أغمض عينيه

وجلس وتركها من يده، شريف أضعفهم شخصية من عائلة متوسطة في المستوى الاجتماعي والمادي ويغلب عليها طابع التدين، تمسك شريف بالالتزام بالصلاة في حين انقطع عنها ثلاثتهم، ولكن من حين إلى أخر كان يحاول أن يجاريهم فيما يفعلون و لكنه يفشل، تزداد الفجوة بين اهتماماتهم ولكنه ظل متمسكًا بصداقتهم لأنهم اختياره الوحيد الذي اختاره دون تدخل إحدى والديه .

صالة البلياردو هي مكانهم الثانوي للتجمع، بدروم داخل إحدى العمارات المتهالكة في حارة صغيرة قريبة من مدرستهم، بقليل من المجهود والمال تحولت إلى صالة للألعاب الرياضية، كما يفضل صاحبها أن يطلق عليها، ثلاث طاولات للبلياردو ومثيلاتهم لتنس الطاولة، بالكاد يصل ارتفاع السقف إلى مترين، كان في الماضي أبيض اللون ولكن دوائر صغيرة سوداء من الطباشير المستخدم في البلياردو قد أضافت بقع سوداء إلى سقف الصالة، أما جوانب الصالة فتميل إلى اللون الأصفر فقد استقر عليها دخان السجائر فلا مفر له أو مخرج .

بدأ الجميع في الضحك عندما جلس شريف إثر الدوار الناتج عن دخان السيجارة الأولى، اتجه إليه وائل قائلًا:

"يا ابني مش قد حاجة بتعملها ليه؟"

وائل الطفل المدلل لأسرة مكونة من ستة أفراد أب وأم وثلاث من البنات رغم هذا الدلال، ولكنه متأثر سلبًا بسيطرة والده لا يقوى على اتخاذ قرار، وظل حبيس التردد لفترات طويلة، يعلمون بمدى الضغط الواقع عليه من شدة تقاربهم ودائمًا ما يسوقون مبررات لوالده ليتركه يخرج معهم ليلًا أو يسافر في إحدى الرحلات المدرسية، رغم هذا التأثير السلبي ولكنه كان أخفهم ظلًا وأطيبهم قلبًا، خفة ظله كانت ميراث تركته له والدته قبل رحيلها عن عالمنا، اللحظة التي سيطر على والده هاجس الخوف عليه والذي تحول مع الوقت إلى سيطرة أفقدته كثيرًا من شخصيته .

في هذه الأثناء كان خالد يستعد إلى دورة فقد بقيت له كرتان حتى يحين دور الكرة السوداء، أصدر خالد صوتًا عميقًا من أنفه وهو يضحك:

"الله يحرقك يا عماد، الواد فرفر" .

لم يكسر صوت الضحكات سوى صوت ثلاث طلقات متتالية أطلقها خالد معلنًا فوزه وانتصاره في الرهان على عماد، بثقة مبالغ فيها نظر إلى عماد وقال:
"ادفع يا حيلتها" .
التحدي هو الطابع السائد بين عماد وخالد، عماد يخوض كل تجاربه بعشوائية على غير عادة خالد يخوض نفس التجارب، ولكن كل خطوة لها حساباتها ولذلك خالد دائم الانتصار .
كانت الساعة الثانية عشر والنصف وبقي ساعتان على انتهاء اليوم الدراسي، سؤال طرحه شريف وهو ممسك بسيجارته الثانية:
"على القهوة ولعبنا بلياردو ولسه ساعتين، هانعمل ايه يا عم عماد؟ مش أنت صاحب فكرة الزوغان؟"
نظر عماد إليهم وهو يبتسم:
"حد يحب يروح عند البت أميمة؟"
صمت للحظات، شريف يفكر في حرمانية الزنا وإن كان يتمنى أن يخوض تلك المتعة التي لا يتذوقها إلا وهو يمارس عادته السرية، وائل يفكر في والده إذا ما تأخر عن موعد عودته والضغط الذي قد يقع فيه رغم إنه لا يمانع على الإطلاق أن يذهب مرة أخرى إلى أميمة، أما خالد فهو رافض للفكرة من بدايتها، لأنه لا يستطيع أن يرى أحدًا يشاركه في امرأة رغم خوضه بعض العلاقات العابرة، التي لا يعترف بها سوى لشريف ولا يعترف بحبه الوحيد إلا لنفسه .
"ها أنا هاروح" .
في الخلفية كانت أغنية عمرو دياب الجديدة: "ولسه بتحبه يا قلبي، يا قلبي حرام عليك" .

***

الوقت الأطول في يوم حلمي يمُر بين أوراقه ودفتر ملاحظاته وهو يحاول أن يسترجع علاقتهم .
"هو كل الولاد أفكارهم جنسية؟"
"الغالبية العظمى" .

"ليه؟"
"عشان فاكرين إن الجنس عيب" .
"وهو عيب!"
تتصاعدُ أدخنة زرقاء من سيجارتي وتتمايل مع صدى صوت ضحكاتي ويتناثر رزاز يخرج من فمي على شاشة الحاسب الآلي وأنا أردد أبيات لا أتذكر متى علقت في ذهني .

"ماذا أقول إذا دقّت أصابعه
بابي برفقٍ ودفءٍ، كيف ألقاه
ماذا أقول إذا حيّا بطلعته
ولهفة الشوق دبّت في محيّاه
ماذا أقول إذا راحت أصابعه
تداعب الفخذ سرًا تحت مأواه
رباه من منقذي منه، وهل بيدي
سوى السكوت والاستسلام ربّاه"

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

قبل زفافهما أدركا أن غرفة المعيشة هي أكثر غرفة سوف تجمعهما فحظيت باهتمام مضاعف، كانت أصابعهم تغار من حالة العشق التي وصلا إليها، فكانت تتشابك دون قصد لتملأ الفراغات بينهم ليتحد الجسدين في جسد واحد، على الأريكة التي اختاراها بروحيهما ارتسمت ابتسامة على كل جزء من جسدها وهي تتحدث:
"أخيرًا أنا مش مصدقة" .
"عشان تعرفي بحبك قد ايه، قلت لك هاعمل المستحيل عشان السنة دي ماتعديش غير واحنا مع بعض" .
من اليوم الأول لاستلام شقتهما قررا سويًا أنها الغرفة الأنسب لتكون غرفة

* الابيات مجهولة المصدر

المعيشة، وكان قرار قاطع منه أنها هي من ستختار كل تفاصيلها دون التدخل من أي طرف في العائلتين حتى ولو من باب النصيحة، بدورها اشترطت إنه لا بد أن تشعر برضاه على اختياراتها، كان أصعب قرارات تلك الفترة هو اختيار اللون إما الأبيض أو " "، أفتح درجات البنفسج، كان القرار سريعًا سيكون اللون الأساسي للغرفة الأبيض ولون إحدى الحوائط الرئيسية هو البنفسج، غرفتهم كانت مختلفة ورفضا أن يكون في الغرفة كرسي منفرد، أريكة بالكاد تكفي إلى ثلاث اشخاص فوقها زين الحائط بنفس اللوحات التي تزين "سوا" ، على اليسار وتحت الشباك صمم هو ركنة على الطراز العربي، ما دامت الأريكة صغيرة فكان لا بد من مساحة إذا قررا الاستمتاع ببعضهما هي كانت نيته التي لم يعلن عنها وقتها، أمام الأريكة تلفاز يتوسط الحائط، كانت الغرفة بسيطة وعميقة كحبهم .

بعد سنوات من زواجهم يمر يوم آخر شبيهًا باليوم السابق ومماثلًا لليوم القادم، يجلسان سويًا في نفس الغرفة، جلس هو على أقصى اليسار ممسكًا بالهاتف الجوال يتصفح مواقع التواصل الاجتماعي أو يخوض دردشة سريعة، هي تجلس في أقصى اليمين ممسكةً بفنجان قهوة تشاهد إحدى مسلسلاتها المملة على حد تعبيره، رأسها تصرخ في احتياج إلى سيجارة سريعة ولكنه دائم الرفض أن تدخن أمامه، حين قطعت هذا السكون:

"شفاط المطبخ عايز يتغير" .

"حاضر" .

"ايوه، يعني امتي؟"

"ما قلت حاضر" .

"أنت مش بتدخل المطبخ قدي وأنا محتاجة الشفاط" .

"يعني أنت اللي بتدخليه؟"

"قصدك إني مش بعمل حاجة؟"

"لا مش قصدي وحاضر والله حاضر والمصحف حاضر هاغيره" .

دائمة الاستعداد لأي معركة تحشد أسلحتها مبكراً للهجوم وبغضب:

"نفس الحاضر زي أي حاجة بقت في حياتنا، أنت مبسوط وبتخرج وعايش حياتك وأنا اولع، أنت بقيت أناني جدًا عمرك ما كنت كده في ايه؟ والله لو اعرف أن الحال هيوصل لكده عمري ما كنت حبيتك" .

لم يكن رده يوازي غضبها غضبًا ولكن كان يوازيه استفزازًا .

"أنا على فكرة قلت حاضر" .

"ما هو حاضر من غير ما تعمل حاجة، على طول تجاهل ولا مبالاة مع إنك ماكنتش كده لما كنت هتموت علي ولا نسيت؟"

لم تصمت عند هذا الحد ولكنها استمرت في الهجوم وبدأت في مصارحته باستيائها من الحياة معه بكل صفاته، هي التي وافقت على تلك الصفات من قبل، من تغيَّر هي أم هو! أم فقط أسوأ ما فينا يتحكم .

"أنت على طول في الشغل ومش عايش معايا، شغلك لنفسك إنما أنا فين؟ مافيش أمل خلاص أنا تعبت" .

الآن حان وقت الهروب هكذا يحدث نفسه هل يخشى المواجهة أم يخشى أن يظهر جانبه الأضعف، أصبح يبحث عن راحته فقط هو أيضًا أسوأ ما فيه يتحكم:

"تمام قوي أنا مش هاخلص، اهتمام ولا مبالاة عشان شفاط! ايه يا جدعان الجنان ده!"

قالها واتجه إلى الباب وتركها في قمة غضبها وهو في قمة انتصار زائف وترك المنزل ورحل .

***

(دفتر الملاحظات - العقل)

المرور على منزله أصبح عادة شبه أسبوعية، لم تعد تشتاق للحديث معه فقط، تريد أن تراه ولو مرة أخيرة، لم تره منذ أخر لقاء جمع بينهما عندما قررت الزواج من شخص آخر، كانت دائمة البحث عن مبررات لرفضه، كانت دائمة اللوم على إنه غير طموح وشخصيته ضعيفة أو إنه لا يحبها مبررات كثيرة وضعتها لتهرب، تقف بعيدًا عن منزله لمسافة تستطيع بها أن تراه ولكن لم

يحالفها الحظ ولو لمرة .
"الو أنا قدام البيت، ما تتصل كده تسأله هيرجع إمتى؟"
"أنت عارفة اللي بتعمليه ده اسمه ايه؟ أنا وأنت أصحاب ماشي بس كده غلط",
صوت محرك السيارة ارتفع فجأه وكأنه يعترض على ما تقول .
"أنا مش عارفة أنا بكلمك ليه أساسًا، أنا هاروح" .
أصبحت دائمة الشعور بالوحدة ولا تملك الطاقة للتغيير أصبحت بلا هدف، زوجها الآن دائم البحث عن مبررات لرفضها، وبمجرد عودتها اندلع شجار بينهما,
"أنت أسلوب كلامك بقى صعب جدًا غير إنك مش بترد" .
لم يترك الهاتف من يديه ولم ينظر حتى إليها .
"ماله أسلوب كلامي مش عاجبِك في ايه؟"
"لا ولا حاجة" .
"لا قولي، معاليكِ ايه اللي مش عاجبك؟"
شجار ليس وليد اللحظة ولكنه نتيجة ما حدث يوم أمس، خلاف متكرر ومعتاد بعد كل لقاء يجمعه بعائلتها، جلس الجميع على المائدة وقت الغداء جلست هي بجانبه، وبدا أن الجميع يتحدثون بصورة طبيعية إلا هي كلما أراد أن يبدي رأيه تتدخل لتوقفه أو تغير مسار الحديث، تعلم جيدًا أن هناك خلاف خفي بينه ووالدتها وكانت تحاول إلا يحدث صدام ليس خوفًا عليه ولكن حفاظًا على شكلها .
"امبارح واحنا راجعين فاكر كلمتني ازاي؟"
"لا ما هو أنت مش واخدة بالك من التناكة بتاعتك، أنا مش شغال عندِك" .
"أنا كنت باتكلم عادي" .
طريقتها التي يرفضها الآن هي الطريقة التي جذبته هو شخصيًا، لم يعد يرى الصورة بوضوح، بدأ في تحريك يديه بعنف أمامها .
"أنت مالكيش أي ثلاثين لازمة، ده أنا ادوسك بالجزمة" .
تركها وذهب لينام بمفرده، إنه الشهر الخامس دون أن يجمعهم سرير واحد، حتى بدأت تفتر منه وترفض داخليًا التفكير في العلاقة الحميمة معه وإن كانت

تشتاق إلى أي علاقة حميمة أخرى .
قبل أن تنام أرسلت رسالة أخرى إلى صديقها .
"اهو شتمني ودخل ينام لوحده" .
ليلة أخرى تمر عليها دون أن تحاول التغيير، تتلذذ بسلبيتها أمامه، ثم تعود لتحلم بشخص أخر وتتمنى لو أنها لم ترفضه، هو وضع رأسه لينام وقبل أن يغمض عينيه تذكرها وكاد قلبه يشتعل شوقًا، أصبح انتصاره في أن يشعر بأنها لا تنعم بسلام داخلي، وأصبح انتصارها في أن تنجح أن تلعب دور الضحية .

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

"هي مش بترد ليه؟ لما اكلمها ترد، إديها التليفون" .
صب غضبه على والدتها ولتتجنب مشكلة أخرى أخذت الهاتف منها .
"أيوه" .
"مش بتردي ليه لما باكلمك؟"
"احنا متخانقين ولما نكون في الحالة دي أنا مش بحب أتكلم، وماما تكلمها بأسلوب أحسن من كده" .
"لا ما هو أنت لازم تقولي مالك؟ وماما أنا هاعتذر لها" .
"للمرة المليون أنا مش عايزة أتكلم، من فضلك أرحمني" .
حتى عندما يختلفا تفضل أن يختلفا بطريقتها، أصبحت مثاليتها عبئًا عليه .
"لا هنتكلم وهاتقولي لي في ايه دلوقت؟"
"أنا قلت كثير ومش عايزة اتكلم بقى" .
إصراره على مناقشة وضعهما الآن فكرة خاطئة .
"طب هاعدي عليكي نخرج" .
"أنت مش واخد بالك إني فعلًا مش طايقة نفسي، أرجوك بقى يا أخي" .
تظن إنه تزوجها لأن شخصيتها مختلفة عن شخصية والدته، ولكن كم هي مخطئة هو تزوجها لأنه يشعر معها بأمومة افتقدها .
"أنت فظيعة عمرك ما هاتتغيري، أنت مش حاسة بنفسك عاملة ازاي؟"

بمجرد أن تشعر بارتفاع نبرة صوته واقتراب لحظة انهياره تغلق الخط، ولكنه لا يكل من المحاولة أو ربما الإلحاح، لا تمضي ساعة إلا ويرسل لها رسالة جديدة .
"أنا آسف، ممكن نتكلم لما تهدي؟"
هي قد ملت من إلحاحه وهو قد مل من مثاليتها .

***

(دفتر الملاحظات - الملف الرابع)

"أنجوي" هو اسم كلبتهما، أخذت ملامحها تتأثر بالجو المحيط بها، وزنها زائد بشكل ملحوظ، كلما نظرت إلى عينيها تشعر بالنعاس، رغم عشقهما لكلبتهما إلا أنهما توقفا عن المحاولات في تغييرها مثلما فشلوا في المحاولات الدائمة للخروج من أزمة اللا أزمة .
"بقولِك تيجي نطلع الأقصر؟"
لم يعد هناك فارق بين الأقصر وغيرها، هكذا حدثت نفسها قبل أن تجيب:
"مافيش مشكلة نروح" .
لا أظن أنها ستبدي رأيًا مطلقًا في أي شيء، أتمنى أن تصارحني برأيها ولو مرة .
"طب لو عايزة مكان تاني نشوف؟"
"مكان تاني يعني هاتفرق!"
"لا يا حبيبي نروح الأقصر، تغيير برده" .

***

نظر حلمي إلى حبيبة وهي تقاوم النوم .
"عايزة تنامي؟"
"لا كمل يا حلمي، عايز افهم مين دول، واياك تكون حد فيهم ولا كنت بتحب واحدة منهم" .
نظر إلى جسدها وهو يتمدد على الأريكة، وابتسم: "لا أنا مش واحد فيهم"، ثم اخرج دفتر ملاحظاته وأمسك قلمه وعاد للكتابة،
وتوالت الأحرف أمامي على شاشة الحاسب الآلي، كم تمنيت أن أكون إحدى شخصيات حلمي .

"السعادة مش حلم هي واقع بس زي أي واقع في الدنيا محتاج مجهود ومجهود كبير، محتاجة إنك تتعب، مافيش قاعدة ثابتة للسعادة، مافيش خطوات تقدر تطبقها بين الناس عشان يعيشوا مبسوطين، العلاقة بين أي اثنين عاملة زي الـ DNA مالهاش شبه، لازم يتعبوا عشان يلاقوا بتاعهم، لكن أصبح النكد، الهجوم دون مبرر، الانهزامية، الإلحاح، السلبية، ادعاء المثالية، صفات تعيش داخلنا تسيطر على علاقاتنا تزداد معها الفجوة، نتساهل في استخدامها دون أن نبذل مجهود في أن نسترد علاقاتنا، يستمتع الجميع بدور الضحية ونستمر في فقدان علاقاتنا إلى أن نصل إلى حافة الانهيار، ثم نلقي اللوم على شريك حياتنا" .
توقفت قليلًا لحاجتي الماسة لزيارة دورة المياه، وكوب من القهوة سيكون مفيدًا، أنا في قمة نشوتي الآن ولا أحب أن أترك هذا المؤشر وحيدًا .
أدركت الآن أن لكل منا صفة نستخدمها عند الدفاع عن أنفسنا، صفة نرفض الاعتراف أنها تتحكم فينا، تسيطر على حياتنا، تحولنا إلى صراع هدفه الانتصار، ولكننا تناسينا عن عمد أن علاقاتنا ليست صراع وأن الانتصار فيها هزيمة .
قاومت حبيبة النوم وتوجهت إلى حلمي بالسؤال:
"كل ده سواد جواهم؟"
"ما هو مش كل الناس حلمي" .
ضحكت باستنكار:
"ولا كل الناس حبيبة" .

(٣)
الحب
«يا حبيبي لا»
عمرو دياب
ألبوم أكتر واحد - ٢٠٠١

علينا أن نُحب بالطريقة التي يفضلها من نحب .

"هو بيحبِك؟"
"ماعرفش" .
"أنت بتحبيه؟"
"جدًا والله" .
"بتحبيه ازاي؟"
"يعني ايه بحبه ازاي؟ بحبه يعني بحبه، وبحبه قوي كمان" .
وقف حلمي ونظر من النافذة ثم عاود السؤال مرة أخرى:
"طيب السؤال بطريقة تانية، تعرفي توصفي الحب ده؟"
"ايه بقى هو كله وصف، مرة أوصف الغضب ومرة الحب؟"
"ما هو احنا لو معرفناش نوصف مشاعرنا يبقى عمرنا ما هنخلي شريكنا يحس بيها، إذا كنتِ نفسك مش فهماها هتعرفي توصليها إزاي؟"
"يعني قصدك إني مش فاهمة مشاعري؟"
"حاجات كثيرة في حياتنا شفناها كده اتعلمناها زي ما هي من ضمنها الحب، بنقلد اللي حوالينا فيها بس عمرنا ما عرفنا ازاي نحب؟"
"الحب يا دكتور مش حاجة نتعلمها، الحب حاجة بنحسها" .
"لا، اللى بنحسه في الأول ده اسمه إعجاب أو شوية مشاعر زيادة أو يمكن يكون استلطاف، لكن الحب ده خطوة واحدة في العلاقة وعشان ناخد الخطوة الثانية محتاجين مجهود كبير، أنت بقى ايه المجهود إلى بتبذليه عشان الحب ده؟"
عادت بظهرها ووضعت قدم فوق الأخرى .
"إني مستحملاه بكل اللي بيعمله" .
"لو الحب كده يبقى بلاش منه احسن" .
"تفتكر أنا هنا ليه يا دكتور حلمي؟"

"لا ده سؤال أنت بس اللي تجاوبي عليه" .
"أنا هنا عشان عايزه احبه ويحبني من تاني" .
"يبقى تعملي حاجة واحدة" .
"هاعملها" .
"لازم تحبي بالطريقة اللي بيحبها جوزك" .
"يعني إيه؟"
"يعني ماينفعش تكابري وتحسسي جوزك إنك بتتفضلي عليه بالحب ده" .
قالها ثم أشار إلى لوحة على الحائط مكتوب عليها: "علينا أن نُحب بالطريقة التي يفضلها من نحب" .
أنهي دائمًا اللقاء عند هذه الجملة فوحدها تحتاج مجهود أسابيع لاستيعابها فما بالك بالتنفيذ .

***

انتظرت ياسمين حتى خرجت مها وغادة من الفصل وامتزج توترها مع دوران مروحة السقف .
"في ايه يا هبة مش كده ايه اللي حصل؟"
نظرت إليها وهي تمسح دموعها .
"تخيلي إمبارح شفته ماشي مع صاحبته الأولانية" .
"طب يا بنتي مش أنت اللي سايباه، طظ فيه وصاحبي واحد أحلى منه، ده أنت كله نفسه يصاحبك" .
"ازاي يعني أنت هبلة؟ أكيد هايقولوا أن هو اللى سابني وراح لصاحبته القديمة، أنا اتقارن بدي" .
"هو أنت بتحبيه؟"
ضمت هبة شفتيها في محاولة لإخفاء ابتسامة رغم دموعها .
"اه يا ياسمين بحبه وأنا غيرته وكله عارف كده، فاكرة هو كان إزاي وبقى ايه؟ أنا أعمل فيه كل ده ولما نتخانق خناقة يروح للبت المعفنة دي، يا ياسمين أنت مش متخيلة والله منظرها فظيعة جدًا، تلاقيها دلوقتي طايرة من الفرح" .

"ماتزعليش نفسك أنا عارفة وأنت عارفة إنك هاتجبيه تاني" .
لم تكن غادة أسعد حالًا من هبة، ولكنها لا تملك القدرة على التعبير، تشعر بالغيرة من هبة وياسمين ليس كرهًا أو حقدًا، لكنها تتمنى فقط أن تجد شاب يهتم بها وتشعر معه بمشاعر تبذل قصارى جهدها في كبتها، ولكن على الرغم من أمنيتها فإنها لا تمتلك الجرأة لخوض تجربة عاطفية وتختفي وراء ستائر رومانسيتها وأنها ستجد يومًا شريك حياة تحبه قبل الزواج، خوفها من أخيها وحده يكفي أن تطرد الفكرة من رأسها، لا ملجأ لها إلا مها .
"هو أنا وحشة قوي يا مها؟"
حركت مها فكها يمينًا ويسارًا، فهي تعلم جيدًا إنه فاصل جديد من فواصل غادة في الكآبة .
"ابتدينا يا عسلية، في ايه؟"
"هو أنا أخر واحدة هاتجوز فيكم، وهاعنس أنا خايفة إني ملاقيش حد يحبني" .
رغم أنها لا تحب عندما تأخذها غادة إلى هذا المنحنى، ولكن مها لها بعد رومانسي مختلف وتتأثر سريعًا .
"حصل ايه عشان تقولي كده؟"
"أنت عارفة أنا بحب هبة وياسمين قد ايه، بس هما كل لما يروحوا في مكان العين بتبقى عليهم وبيبقوا نجوم" .
"بصي يا غادة، أحنا أصحاب من زمان، بس ده لا يمنع أن فيه تصرفات مش عجباني منهم، ومش موافقة عليها كمان، بس أنا ماقدرش امنعهم ومش هامنعهم، بس زي ما أنت عارفة أنا مش بعرفهم أول لما يكونوا واقفين مع أصحابهم الولاد، يبقى انهم الاثنين نجوم وسط الولاد مش حاجة تخلينا نغير، عشان هم غلط يا غادة" .
"أنا عايزة أكون حلوة، عايزة أكون بنوتة" .
"ماحدش يقدر يساعدك تكوني الشكل اللي أنت عايزاه غير نفسك ونفسك وبس" .
"يا مها أنا نفسي حد يجيب لي هدايا أو يعمل لي مفاجأة، حفلة مثلًا، أنا عايزة

حد يحبني" .
شاركت مها غادة في البكاء هي أيضًا داخلها أمنيات لا تعترف بها سوى بين طيات الليل قبل نومها، حاولت مها أن تسيطر على الموقف حين رأت ياسمين وهبة وعلامات السعادة على وجه ياسمين .
"في ايه فرحانة كده ليه؟"
"تعالوا بسرعة عشان فيه كاسيت ورقص قبل الفسحة ما تخلص" .
هي اللحظة التي تنتظرها ياسمين، اللحظة التي تتلقى فيها نظرات الإعجاب قبل حروفه وهي تتمايل وترقص باحترافية شديدة مستخدمة كل أجزاء جسدها، تعلم جيدًا أنها تمتلك مقومات لتكون النجمة في هذه اللحظة .

***

ابتلع شريف ريقه وهو يحاول أن يجد مبرر لرفضه:
"ده حرام يخرب بيتك" .
نظر إليه عماد وهو يضغط على شفته السفلية بأسنانه محاولًا إظهار شهوته:
"وأحنا بنعمل ايه حلال بس يا شيكو!"
"لا روحوا أنتم أنا لا ماليش فيه" .
"وهو أنا أهبل أخدك معايا" .
ابتسم شريف وأدرك سريعًا ما يشير إليه، المرة الأولى التي شاهد فيها صورة لامرأة عارية تمامًا كانت مع عماد، احمر وجهه وتوقف عن التنفس للحظات وكاد أن يخترق الصورة بعينيه، وتذكر عماد وهو يضحك و يقول: "أنت شرقت"، تتغير حالته النفسية سريعًا لأنه يدرك الفارق بينه وعماد، عاد سريعًا من شروده ووائل يقول:
"والله يا خويا على عيني، يعني يرضيك ابقى مستعجل عشان الحق اروح، وتيجي واحدة زي دي تقول علي ضعيف" .
نفخ خالد دخان سيجارته في اتجاه وائل:
"لا حوش وأنت جامد أوي" .
"ده أنت أكثر واحد عارف أنا جامد قد ايه يا خلود يا جميل" .

ضحك جميعهم وبدا أن فكرة أميمة لم تلق أي استحسان سوى من عماد ووائل لكن وائل يخشى أن يمر الوقت عند أميمة ورجولته ستمنعه من أن يرحل مبكرًا ويجلب على نفسه جحيم لا يقوى على صده .

على الرغم من أن عماد لا يكبح شهوته ولكنه يختلف في علاقته عنهم، لا يقوى على العيش دون أميمة وفي نفس الوقت دون حبيبته، شخصيتان في قلب رجل واحد، لا يستطيع أن يسيطر على شهوته ولا على قلبه، لديه "صاحبة" ارتبطا في السنه الثانية من المرحلة الإعدادية، يعشقها بجنون وهي الوحيدة التي يفقد أمامها بلاغة لسانه، لديه علاقات كثيرة ما بين الصداقات وصولًا إلى العلاقات الجنسية الكاملة، ولكن تبقى حبيبته في مكان خاص داخله، هو بلا شك أجرأهم في التعامل مع الفتيات بمختلف أعمارهن ولكنه أفقرهم في السيطرة على نفسه .

لم يبد خالد اهتمامًا بما قاله وائل سوى بابتسامة سخيفة،

قطع وائل الابتسامة:

"بتتكسف يا خلود ولا ايه؟"

قالها وأنهاها بقبلة هوائية في اتجاهه .

خالد لا يتدخل في مثل هذه الحوارات، هو أيضًا لديه علاقة عاطفية ولكنها مختلفة كاختلاف شخصيته عن عماد، هي حبه الصامت صمت هذا الحب يغني في وصفه عن الكثير من الكلمات، لا يرق قلبه إلا لحظة لقائه مع بنت عمه، على الرغم من قلة اللقاءات بينهما، ولكن لا يسمح لقلبه أن يخفق إلا بعدد تلك اللقاءات، يبذل قصارى جهده ليظهر بأحلى صورة ممكنة معها، تلتقي أيديهم بشكل مختلف، هو يتعمد أن تظل يدها في يده لأطول فترة ممكنة، وهي تستمتع بسحب روحه مع يدها بعد السلام، يتنازل بدوره عن روحه بابتسامة بعينيه هي فقط التي تلاحظها، ينتهي السلام وهي تداعب الأرض بعينيها خجلًا، لا يتعدى لقاء الأيدي سوى ثوانٍ معدودة، ولكنها كافية لشحن خزانات حبه للقاءٍ تالٍ ولو طال، من وجهة نظر أصدقائه هو عدو المرأة الأول، ولكن لو يعلموا مدى إخلاصه لنصبوه في الحب إلهًا .

ظل وائل يرسل قبلات لخالد إلى أن ابتسم .
"خلاص بقى فكك" .
وائل هو صاحب البنات لقب أطلقه عماد عليه، خفة دمة أجبرتهن على الاقتراب منه، ولكنه يفشل في الخطوة التالية فاقد الثقة في نفسه، لديه شعور دائم بالرفض، يخشى إذا ما خطا خطوة أخرى أن يفقد كل ما امتلكه، جبن وائل هو ما يدفعه إلى البقاء في مكانه يكفيه ما وصل إليه، لم يكره هذا الجبن إلا بعد سنوات حين علم أن الفتاة التي كانت تهتز لها مشاعره ويفقد مهارته في استخدام خفة دمه أمامها كانت تحبه .
قطع شريف القبلات وقرر أن يظهر شخصيته:
"أنا مش هاروح عند أميمة دي" .
تربية شريف وضعته في إطار معين للتعامل مع الفتيات، دافع التدين أو الخوف أو التربية هو نفسه لا يعلم أيهم كان سبب الرفض .
أخذ عماد سجائره ووضع نظارته الشمسية وتركهم إلى لقاء بعد أقل من ساعتين في شقة خالد .

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

في محاولة منها لاستعادة السعادة المفقودة، قررت أن يكون عيد زواجهما هذا العام مختلفًا، شرعت مبكرًا في ترتيب حفل ضخم ورتبت مع أخوته وأصدقائه المقربين، بالإضافة لمجهود مضاعف بذلته في إخفاء الترتيبات عنه، ولكن رغم كل هذا المجهود لم تر السعادة التي توقعتها في عينيه ولم يبد اهتمامًا بأي شيء اللهم إلا بعض الابتسامات لمجاملة الحضور، تحولت تلك الابتسامات مع مرور الوقت إلى نظرات لوم، حاولت جاهدة أن تزيح تلك النظرات ولكنها فشلت، حاول هو أيضًا أن يحدثها عما يدور داخله ولكنه ابتعد .
هل نسيت أنني أكره المفاجآت، هل تحاول أن تظهر بدور الزوجة المثالية ألا يكفيها البعد الذي وصلنا إليه، نظرات التوتر بدأت تظهر على ملامحها، لا تدرك ما الذنب الذي اقترفته ليصيبها كم اللوم من عينيه، كم أبهرها هو شخصيًا

طوال سنوات حبهم بالمفاجآت لماذا الآن يرفضها؟
"كل سنة و أنت طيب يا حبيبي" .
هذا ما قالته بعد أن رحل الجميع .
"وأنت طيبة" .
ثم طبع قبلة على رقبتها، حاول جاهدًا أن يتمسك باتزانه وحاولت هي أيضًا أن تحافظ على لحظة السعادة وإن كانت باهتة .
"هو العيد ميلاد كان وحش؟ والله تعبت فيه عشان خاطرك" .
"لا حلو" .
"طب مالك؟"
كاد يخبرها أنها تعلم إنه لا يحب هذا النوع من المفاجآت، كاد أن يدمر كل شيء، ولكنه آثر الصمت والهرب، وانتهت الليلة دون أن يخبرها لو أنها فقط أرسلت له رسالة تخبره أنها تقدر وتعلم جيدًا المجهود الذي يبذله لاختلف الوضع تمامًا، باتت باكية وبات مهمومًا على ميلاد فائت جديد .

***

(دفتر الملاحظات - العقل)

ما فائدة كل شيء نملكه الآن ونحن لا نستمتع به سويًا، قبل زواجنا كنا لا نملك كل هذا ولكنه كان يستمتع معي ويشاركني في كل لحظات حياتي، لم تهرب منه تفصيلة ليجعلني سعيدة، حتى عندما أخبرته عن عشقي لمدرستي القديمة رتب زيارة إلى هناك، كان يبقى جانبي ويستمتع بملامح وجهي، لقد فقدنا الكثير بعد زاوجنا وفقدت هذا الشعور الذي داعبني كثيرًا .
"هو أنت ليه بطلت موضوع السفر؟ تعالى نسافر سوا يمكن نفك" .
"وأحنا فينا ايه عشان نفك؟"
"عيد جوازنا قرب وإحنا مافيناش ولا أي حاجة سليمة مع بعض" .
صمت وسرح بخياله وهو يتساءل، إلى متى سأظل أعطي بلا مقابل، ألم يحن الوقت لأشعر ببعض الحب والاهتمام .
"وأنت هاتصلحي أزاي؟ تعرفي إنك أساسًا مش بتقربي مني، يعني لو سافرنا

هيبقى مجهود وخلاص" .
"أقرب منك أزاي وأحنا متخانقين ده أنت أخر مرة . . . ." .
"ماتكمليش، أنا مش بقول ننام مع بعض، أنا بقول تقربي مني ونتكلم" .
تركته وهي في كامل دهشتها، كيف يريد أن أقترب منه وهو يهينني، إلى أي حد من الجنون وصل؟
حاول السيطرة على مشاعره وهو يفتح الحاسوب ويحاول أن ينسى ويشغل نفسه ببعض المهام في عمله، ولكن احتياجه للحب جعله يتوقف وأخذ يتذكر كيف كانت لمساتها، وكيف كانت تقترب منه بكتفيها وكيف كانت تشعره إنه مرغوب، توقف عن العمل وفتح حساب الموقع الاجتماعي الخاص به وبدأ يكتب .
"هل حقًا يجب أن ننتظر إلى أن نجده، هل حقًا سنجده أم سنبقى منتظرين أن تغفر لنا السماء ما فقدناه، فيما تكمن حقيقة الحب! هل تكمن في أننا فقط نشعر به أم أننا دون من نحب نشعر بالوحدة وإن كان لنا ألف من الأصدقاء" .
هي أيضًا كانت تبحث عن شعور الحب المفقود .
"ألو عشان خاطري" .
"عايزة ايه يا ست العاقلين؟"
"ممكن يوصل له إني فعلًا ندمانة على اللي حصل، أنا تعبانة جدًا وعندي أحساس أن كل اللي أنا فيه ده عقاب" .
"قصدك إني أوصل له ده؟"
"يووووه" .
"لا مش هاوصل له حاجة عشان أنا مش حابب أشوفك خاينة، ومش حابب إنك تدوري على مشاعر نقصاكِ في حد تاني غير جوزك، سلام" .
"أوف، سلام" .
أنهت المكالمة وإن كانت قد حسمت قرارها أنها سوف تسعى إليه من جديد .

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

بعد أن هدأت العاصفة وكف هو عن الإلحاح ونسي مثاليتها توجه إليها .
"تيجي نكتب كل واحد محتاج ايه من التاني عشان نحس بالسعادة؟"
كانت هذه المرة الأولى التي حاول فيها أن يخرج عن المألوف في حل مشكلة بينهما .
"فكرة هايلة وربنا يكرمنا إن شاء الله بس أعتقد هيكون في صعوبة في التنفيذ" .
أخرج ورقتين وقلمين وهو يردد:
"ربنا كريم" .
بدأت هي سريعًا في كتابة قائمتها:
"لو جعان ممكن تسخن الأكل وقبل ما تسأل هو في أكل ولا لأ تفتح الثلاجة" .
"تعمل حسابي في كل حاجة زي أنا ما بعمل حساب كل واحد فيكم" .
"ممكن تشيل الأطفال شوية من نفسك" .
"تاخد قرار في اي حاجة تكون بتبسطني وتعملها من غير ما تسألني" .
نظرت إليه وعلامات السعادة تملأ وجهها .
"أنا خلصت" .
"أنت لحقتي؟"
"أيوه أنا عارفة أنا عايزة ايه" .
"طيب أستني" .
سعادة داخلية تملكتها لكونها تعلم ما تريد، ودون وعي منها ارتكبت حماقة معهودة وضغطت عليه .
"يلا بقى" .
"طب بصي أنا مش هاكمل كتابة أنا هاقول" .
"زي ما أنت عايز" .
"أنا بعمل لك حاجات كثير وأنت مش بتشكريني عليها" .
"زي ايه؟"
"بسيبك مثلا تخرجي مع صحباتك وأنا بقعد مع الأولاد" .
"لا استني، أنت بتعمل كده لما أنا أطلب مش لوحدك ودي تفرق كثير" .

"يعني ايه؟!"
"يعني أنا نفسي تاخد أنت القرار ده لوحدك، حتى وأنا قاعدة معاك من غير ما أطلب منك، خد قرار" .
انهار كل شيء حين أخذ يفكر في مثاليتها الزائفة وأخذ الحوار طريقه المعهود .
***
كانت الساعة تشير إلى الثالثة فجرًا، نظر حلمي بين أوراقه وملفاته الأربعة، وأخذ يطرق بالقلم على أوراقه بإيقاع منتظم في محاولة للعودة للكتابة، أغمض عينيه وهو يتذكر حبيبة صباح ذلك اليوم .
كان قد ترك لزوجته علبة صغيرة وضع فيها حلوى، وورقة كتب فيها "إليكِ يا من يأس الوصف في وصف حبك" .
"تعرف يا حلمي على قد ما أنت بتعمل حاجات كثير غريبة، وأحيانًا بتعصبني بس والله العظيم جوايا ليك رصيد مفتوح، ممكن تعمل اللي أنت عايزه، وأنا هافضل مسامحاك طول عمري، أنا كل يوم عشته معاك كان حبي ليك بيزيد، كل وردة جبتها لي كانت بتشبعني حب" .
"ايه ده كل ده عشان شيكولاتة؟"
تركت الأريكة وجلست أمامه .
"لا كل ده عشان أنت بتعرف تحبني ازاي" .
ابتسم وهو ينظر إلى بندول ساعته خجلًا:
"أنتِ اللي علمتينى أحب" .
"طب سؤال بقى بعد وصلة الدلع دي، هو ازاي ملف العقل الراجل طلب من الست تقرب منه وهما على طول متخانقين" .
"عشان هو بيحب يتحب كده، تكون ديما جنبه تمسك ايديه تحضنه، أو حتى تلعب في شعره، بس هي من اليوم الأول رفضت ده وكانت مستنياه يقرب" .
"كل الستات كده" .
"لا مش كل الستات وكل الستات مش زي بعض زي ما كل الرجالة مش زي بعض" .

"يعني ايه؟"
"يعني احنا فضلنا نصنف الستات بيحبوا ايه والرجالة بيحبوا ايه مع اننا مش شبه بعض طب تعرفي" .
وضعت كفها أسفل فكها ونظرت إلى عينيه:
"ايه؟"
"الراجل في ملف العقل رومانسي جدًا والست عملية جدًا" .
"يعني الآية مقلوبة؟"
"لا طبعًا بس مافيش قواعد في المشاعر أو في الحب، بس ممكن تكون القاعدة الوحيدة إن الوقوع في الحب مش اختيار، بس المحافظة عليه اختيار" .
منذ سنوات أدرك حلمي أن لكل منا طريقتة لتقبل الحب وإن كان للحب ألف معنى .
عاد حلمي إلى قلمه وعدت إلى وميض المؤشر .
قطع تفكير حلمي رنين الهاتف، تأفف لأنه لم يعتد أن يرفض الرد على هاتفه فى أي وقت لأن هناك من يحتاجه .
"ألو" .
"أنا آسف يا دوك حلمي بس أنا تحت ممكن أطلع" .
"أنت عارف الساعة كام؟"
"عارف بس هاخد من وقتك أقل من ١٠ دقائق" .
"طب أطلع كمان ١٠ دقائق" .
توجه بنظره إلى حبيبة وكتم صوت الهاتف .
"ممكن تقعدي جوه شوية؟ حد طالع" .
"تحب استقبله" .
"لا طبعًا، هاشوف عايز ايه بسرعة" .
توجه إلى الباب بعد أن رن جرسه أكثر من مرة .
"إتفضل، غريبة إنك مستعجل قوي كده" .
بتوتر ملحوظ بدأ حديثه حتى دون أن يجلس .

"أنا مش عارف أنام وخايف أظلمها، الليل والتفكير هيقتلوني، هي فعلًا بتتعب عشان علاقتنا بس، مش عارف اقولك ايه" .
أشار إليه بالجلوس .
"طب اقعد الأول وقول كل اللي أنت عايزه" .
"أنا بحب واحدة تانية، ومش عارف أوصل لها المعلومة دي إزاي، وعارف إني لو قلت لها هتنهار، وهي لسه مسامحاني على اللي أنا عملته" .
"الموضوع مش محتاج لا وسيط ولا ترتيب روح قل لها" .
"يعني يا دوك هي بتحاول وأنا اروح اصدمها" .
"هو أنت جاى لي ليه؟"
"عشان أنت تقولها، تحاول تفهمها إني عايز أتحب مش بطريقتها دي" .
"لا روح قول لها أنت، ده مش دوري" .
"كده على طول؟"
"اه على طول، بس لازم تعرف حاجة مهمة" .
"ايه؟"
"أنت دلوقتي مش شايف أي حاجة غير الست إلى بتحبها دي، وعشان عايش متعة الشعور اللى نفسك فيه من فترة، بس لما المتعة تموت هتكون خسرت كل حاجة" .
"لا والله دي مختلفة" .
"ومراتك برده كانت مختلفة لما اتجوزتها" .
"أنا مش فاكر" .
"أنت بتتناسى شعورك كان إزاي وبتهرب منه، الموضوع اختيار، أنا قلت لك قبل كده مراتك بس محتاج تلمسها كثير، وتحضنها كثير ومش بتكلم عن علاقة كاملة، أنا بتكلم على إنك ممكن تحبها بالطريقة دي" .
"يا دوك . . ." .
"حاول تسمح لنفسك تفتكر شعورك قبل الجواز، هتلاقيه نفس الإحساس اللي أنت فيه دلوقتي، أنت محتاج تبذل شوية مجهود مش تهرب بمشاعرك لواحدة

تانية» .
قبل أن يغادر وضع محتوى اللقاء في الملف الرابع ثم نادى على حبيبة .
أعيش وحيدًا منذ فترة، لا أعلم كم طالت، هذه الغرفة هي ما تبقى لي من الحياة، أوراق كثيرة تزين الحائط، وواقع حولته إلى أحلام انتحرت روحي داخلها، حاولت كثيرًا أن أعيد أجزاء روحي إلى حالتها الأولية، وألملم ما تبقى من أمنيات البحث عن الحياة، اكتفيت من الكتابة الآن ونظرت إلى وميض المؤشر وهو يسابق بندول الساعة ليؤكد أن الوقت يمر ولن يتوقف .
نظر حلمي إلى حبيبة وترك القلم .

(٤)
الاحتياج
«أجمل إحساس»
إليسا
ألبوم عايشة لك - ٢٠٠٢

إن الحب احتياج ولكن الاحتياج حياة .

"أنا محتاج منها ايه!! لا مش عارف يمكن عايزها تبطل زن شوية؟"
"طيب لو هو ده الموضوع اطلب منها تبطل زن" .
"أنا اطلب منها حاجة ! مستحيل، وبعدين أنت متخيل يعني إني هاقول لها ماتزنيش خلاص مش هتزن، ايه يا دكتور أنت مش عارفهم!"
"لا عارفهم، عشان كده الطلب منهم مش بيكون كلام، لازم يكون فعل" .
"فعل!! قصدك اعمل لها حاجة مخصوص يعني، لأ كده هتحس إني ضعيف وأنا مش ضعيف" .
"أنت ليه خايف مراتك تشوفك ضعيف؟"
"عشان أنا مش ضعيف" .
"أنا وأنت بس اللي بنتكلم فاتكلم براحتك" .
"أنا محتاج احس إني راجل" .
"أنت ليه مش حاسس بده؟"
"عشان هي دائمًا بتحسسني إني ماليش لازمة في حياتها، وإنها هتكون أقوى لو أنا سيبتها، تعرف يا دكتور أحيانًا باسرح وبحس أن الستات فقدت جزء كبير من أنوثتها لما قررت تلعب دور الراجل وتتعلم تبقى قوية لوحدها" .
"بعيدا عن الستات دلوقت أنت دورك ايه؟"
"أنا راجل البيت" .
"تمام قل لي بقى دورك ايه في البيت؟ ولا أنت فعلًا مالكش وجود في البيت وهي كان لازم تتعلم تبقى قوية؟"

***

الآن تبدأ مرحلة مختلفة في علاقتهن، لا يجتمعن بعد انتهاء اليوم الدراسي تختلف اهتماماتهن، مها لا تفضل الاختلاط بهبة وياسمين، أما غادة ترفض لأنها لا تمتلك من الآليات التي تجعل للاختلاط معنى، ظاهريًا هي ترفض الارتباط

وإن كانت تموت شوقًا له، لدرجة أنها باتت تهاجم كل المرتبطين بحجة أنهم على خطأ، هي تستمتع بمحاولات أحد أبناء حيها للاقتراب منها، رفضها لا ينبع سوى من أنها تراه دون مستوى الفتيان الذين يرتبطون بياسمين وهبة .
انطلقت غادة وهي تمسك بذراع مها ومشاعرها تلتهب بحماسة من إعجاب الجميع برقص ياسمين .
"ياسمين بترقص فظيعة أنا بحبها قوي" .
لا تتخلى مها أبدًا عن حس الفكاهة وإن كانت تعلم إلى أين سيؤول حديث اليوم مع غادة .
"أنا لو كنت راجل كنت حبيتها وش" .
"تعرفي يا مها، أنا والله مش باغير من هبة وياسمين خالص" .
ها قد بدأ الحوار كما توقعته مها، وفي محاولة استباقية منها للحيلولة دون هذا الحوار، الذي لن تتحمله الآن حاولت تغيير الموضوع:
"غادة سمعتي مغني اسمه كاظم الساهر شريط اسمه أنا وليلى" .
نجحت في تحويل الحوار .
"أنا سمعت الأغنية كثير جدًا وقعدت أعيط أكثر، هو ليه الحب ماينتصرش؟ هو احنا فعلًا ممكن نبيع نفسنا؟"
توقفت مها عن الاستماع عند هذه اللحظة، لا تبدو مها قوية كما يظنها الجميع، مها لديها يوميًا لحظات بكاء على حال أمها، التي اعتادت سماع بكائها على الذل الذي تتذوقه من والدها، نعم والد مها يهين والدتها وهذا سرها .
"بقولك ايه يا غادة أنا هامشي من الناحية دي، عشان عايزة اروح عند خالتو الأول" .
تركتها وهي تحول كل لحظة غضب داخلها إلى ابتسامة هكذا تنصحها والدتها، كانت اللحظة مختلفة تمامًا عند هبة وياسمين مشاعر مختلفة، هبة وقفت بجوار محل الكاسيت تترقب وصوله .
"أنت جاي ليه دلوقتي؟"
تعلم أن جمالها وحده لن يؤثر في مثل هذا الموقف، حين قررت استخدام

أسلوب آخر وبدأت في بكاء مصطنع ولكنه يقترب من الواقعية .
"بتعيطي ليه دلوقتي؟ أنا جاي اعتذر اهو" .
"لا روح كمل مع صاحبتك، مش أنت كنت معاها امبارح؟"
"والله قابلتها بالصدفة، وهي أصرت نتمشى عادي يعني" .
"والصدفة دي تخليها لابسة اللبس ده والمكياج ده؟!"
لتستمر في الضغط على مشاعره أدارت وجهها وبصوت امتزج ببكاء ليلتها السابقة:
"على فكرة أنا زعلانة جدًا، وافتكر احنا لازم نسيب بعض" .
أمسك أطراف أصابعها وهو يقترب من وجهها .
"نسيب بعض ايه؟ أنا ممكن أموت لو ده حصل، أنا بحبك وأنت عارفة ومتأكدة من ده" .
ابتعدت هبة إلى الخلف قليلًا، فرغم جرأتها لم تصل مطلقًا للاتصال البدني بأي صورة من صوره، وإن كانت ياسمين في الجهة المقابلة لمحل الشرائط في وضعية مختلفة .
"ياسمين يلا بينا" .
استدارت ياسمين لهبة وهي تشير لها بالانتظار قليلًا، فقد بدأت طقوسها المعتادة في التعامل مع صديقها الجديد، ممسكة بيديه مالت بكتفها ناحيته لتعطيه الإشارة اللازمة ليبدأ، هو لم يمانع بطبعه وضع يديه حول خصرها وجذبها حتى تلامس كتفيهما .
"ابوس بقى ولا ايه؟"
"لا مافيش وشيل ايديك" .
"طب شيليها أنت لو عايزة" .
ضحكت وهي تضع يديها على فمها وهي تميل قليلًا إلى الأمام حين عاد قميصها لوضعه الطبيعي ليكشف الجانب البارز من خلف صَدريَتها، لتزداد الإثارة وهو يحاول أن يقترب منها أكثر .
"بالراحة، مالك مش على بعضك ليه؟"

"أنت هتموتيني قريب" .
هنا تتدخل هبة عندما تلاحظ أن ياسمين بدأت في الخروج عن السيطرة والموقف سيتحول .
"ياسمين يلا حالًا" .
أدركت ياسمين أن هبة لن تتركها حين مالت عليه .
"مش هاخلص من هبة نتقابل بالليل عدي علي بالعربية لو هتعرف تاخدها" .

***

"طيب يا جدعان أنا هاروح عند أميمة وهاجيلكم كمان ساعة كده عند خالد" .
فكر وائل سريعًا هل لو ذهب مع عماد، هل ستكفي ساعة لهما معًا، أزاح الفكرة عن رأسه وهو يقول:
"أنت عندك فيلم جديد ولا ايه يا خلود؟
"اه عندي، بس أنا عندي مشوار مهم، لازم اعمله دلوقتي" .
منذ فترة وهو يحاول أن يصارحها، يرى الآن أنها اللحظة المناسبة، عليه أن يخبرها أولًا ليبلغهم إنه في علاقة حقيقية، وصل عند مدرستها قبل انتهاء اليوم الدراسي بدقائق، وانتظر أمام الباب و بمجرد أن رأته، كتمت أنفاسها وحدقت عيناها وهي تضع يديها على فمها وتتلفت، ثم مالت على زميلتها، نظرت زميلتها إلى خالد وابتسمت وتركتها وحيدة .
"ازيك؟"
"في ايه يا خالد أنت جاي ليه؟"
"أنت مش عايزاني اجي؟"
"لا ماقصدش" .
ابتسم وهو يضع أطراف يديه في الجيوب الأمامية للجينز ويطرق الأرض بقدمه
"طب أنا هاجي بعد كده كثير" .
"مش فاهمة" .
"يعني ايه مش فاهمة؟"
"يعني مش فاهمة" .

اللحظة التي بدأ فيها وجهها بالاحمرار، حتى وصل اللون الأحمر إلى أذنيها .
"هاجي كثير عشان أنت بتوحشيني" .
"أنت بتقول ايه!"
بصوت متقطع .
"أنت بتوحشيني وبتوحشني كل حاجة فيكِ، صوتك، والله العظيم بيوحشني، ايديك لما بتلمس ايدي، بتوحشني، كل حاجة فيكي" .
رفعت أكتافها وهي تمد شفتيها إلى الأمام، ولم تستطع أن تنطق بكلمة، تعرف إنه يحبها وتعلم أنها تحبه، ولكن لم تكن مستعدة لهذا اللقاء .
"أنا . . . . . أنا!"
"أنا بحبك وبجنون كمان" .
هي المرة الأولى التى يعلنها صراحةً ويخبرها بحبه، ارتبكت ولكنها ابتسمت ووضعت عينيها صوب الأرض قائلة:
- "طيب يا خالد، أنا لازم اروح" .
لم يختلف الموقف المربك بين خالد وبنت عمه، عن عماد وأميمة، أشعل عماد سيجارته الثانية بعد أن انتهى من أميمة وهو ينظر إليها، ويقول لنفسه: "يخرب بيت شعرك يا شيخة، لولا إني هايج ماكنتش لمستك" .
"أنا عارفة أنت بتبص ليه، أنا قلت لك اصبر إنما البعيد جبلة" .
ثم اختتمت الجملة بصوت اعتراضي .
"عايزة ايه؟"
"ولا حاجة أنا قلت لك اصبر ادخل اخد دش، إنما أنت اللي مسروع" .
"لمي نفسك يا بت" .
"طب قوم انزل دلوقتي لاخليك ماتعرفش تنام مع اي واحدة ثانية، أنا مش فاضية" .
"بقولك ايه خشي استحمي وأنا قاعد مستنيكِ" .
كان وائل وشريف لا يزالا على القهوة .
"اعترف يا وائل إني جامد عليك، ادفع" .

"لا لسه يا ... ." .
يصمت شريف عندما يشتمه أحد منهم، لا يعلم هل هذا تهريج أم جد .
"عد ٣ حركات بس يا وائوول وكش مات وادفع" .
"مش هتقوم غير لما تلعب واحد تاني" .
"براحتك بس هنتأخر على عماد وخالد" .
"ايه يا شريف أنت عايز تتفرج على فيلم ولا ايه؟"
مرة أخرى لا يعلم ماذا يقول .

***

أخذت أفكر وماذا بعد؟ هل قصصهم تستحق أن تروى، تعلقت عيناي بشاشة الحاسب الآلي وهي تتابع المؤشر وهو يومض .
مرت دقائق ثم بدأ حلمي الكتابة على صفحة كانت بيضاء منذ لحظات .
"حلمي، وقفت ليه؟"
"اصلي بانبسط قوي لما بسمع أو افتكر أي مشاعر بكر، بتكون جميلة جدًا" .
"قصدك ايه بقى؟ إنك بتكون مبسوط لما تفتكر حبك البكر" .
"يا حبيبة القلب، أنا دائمًا مبسوط بيكِ، وانت الحب الوحيد الحي" .
"وهو في حب تاني مات؟!"
أمسك حلمي القلم ونظر إلى البندول، ثم ضغط على زر تشغيل إحدى موسيقاه المفضلة، ودون أن يجيب حبيبة، نظر إلى الملف الرابع وهو يبتسم وفتح إحدى صفحاته التى كان قد كتبها من قبل في إحدى جلساته .
"هو أنت لسه بتحبها؟"
"أنا مش بحبها هي وحشاني جدًا وشايفها في كل حاجة ولسه بتكسب المقارنات بينها وبين مراتي" .
"تعرف أنت ليه بتحن ليها قوي كده؟"
"ليه يا دوك؟"
"عشان مش عايش الحاضر، انزل على الأرض، صدق إنها قررت تسيبك، صدق إنك غلطت كتير، وصدق إنها كانت أول واحدة تسيبك" .

"بحاول اصدق ومش عارف، يا دوك هي لسه ماتجوزتش" .
"هو أنت محتاج ايه من البنت دي؟"
"مش عارف بس هي وحشاني، يا دكتور تعرف مقولة "وراء كل عظيم امرأة" ؟"
دون أن ينتظر رد من حلمي .
"اكيد تعرفها، بس أنا مش عظيم ولا حاجة، لكن هي غيرتني كثير، هي السبب في تكوين شخصيتي، أنا كل حاجة بعملها أو كل قرار باخده، بتكون هي جزء منه حتى بعد كل السنين دي، هي بتوحشني عشان هي موجودة في كل حياتي"
"طيب تفتكر ايه اللي أنت محتاجة من مراتك عشان تنسى البنت دي؟"
"محتاج منها ايه! مش عارف" .
"يبقى لازم تتعلم تعرف" .
اختار حلمي ورقة أخرى من الملف الأخير .
"لازم اقعد مع جوزك" .
"هو مش مقتنع أساسًا أنا آسفة يعني بحضرتك والدكاترة وكده" .
"كلهم كده لحد ما يشوفوا إنهم عندهم مشكلة، أنت عاملة ايه؟"
"أنا خايفة أطلب الطلاق خايفة قوي، أنا لوحدي على طول، وشي بجد وجعني من الابتسامة المرسومة، عايزة ابتسامة عادية، نفسي ابتسم يا دكتور، تعرف لما بدخل البيت ببقى مش عارفة اعمل شغل البيت، ولا اروح احاول ارضيه، بس ارجع وأسأل نفسي أنا هارضيه على ايه؟ أنا ماعملتش حاجة عشان يزعل" .

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

حضر قبل موعدهما بساعة أو أكثر، وجلس في نفس المكان الذي اعتادا الجلوس فيه، طلب عصير ونظر إلى الصور المعلقة على حوائط "الكافيه"، يعجب بها لأنه يشعر فيهم بالحرية، لم يكن يتصور أنها ستأتي، ولكن بعد لحظات دخلت فتاة ترتدي تايير أبيض فوق الركبة وتالون وشعر مصبوغ بعناية ألهبت حماس كل من كان يجلس .
وقف وهو ينظر إلى تفاصيلها .

"أنت احلويتى أكثر ما أنت حلوة" .
داعبت بلسانها فمها من الداخل .
"طب ممكن نقعد الناس بتتفرج علينا" .
"وحشتيني جدًا" .
أغمضت عينيها قليلًا .
"ممكن ندخل في الموضوع على طول" .
"ما هو ده الموضوع، إنك طول عمرك كنت وحشاني" .
"هو أنت مش واخد بالك أنت عملت ايه فيَّ؟"
"عارف، بس أنت ماتعرفيش، أنا كان معمول فى ايه؟"
"مش فاهمة" .
اختفت ملامح السعادة عن وجهه وحاول جاهدًا أن يتماسك، ولكن دموعه لم تطاوعه .
"تعرفي أنا كنت ضعيف قوي، ضعيف وأنا شايفك بتحبيني وأنا بابعد، ضعيف وأنا كل ما كنت أفكر أجي أقولك واعترف لك إني مش بنام غير وأنا بحلم إنك في حضني أخاف، كنت زبالة وأنا شايف كل الناس شايفة حبك لي وشايفة إني بنفض، بس والله العظيم ماكنتش بنفض، كنت عيل وجبان ومافقتش إلا بعد وقت طويل قوي" .
"هو أنت بتعيط ليه؟"
"مش عارف، بس يمكن عشان بقالي سنين كاتم المشاعر دي جوايا ورافض اعترف بيها، بس هي دي الحقيقة" .
أعطته كوبًا من الماء .
"طب اشرب شوية ميه واهدى" .
"أنا عارف ومتأكد إنك هتمشي ومش هتوافقي نرجع لبعض" .
"احنا أساسًا ماكناش مع بعض" .
"على رأيك، مش هتوافقي نكون مع بعض، بس كان لازم اعترف" .
"ليه لازم؟"

"يمكن لما تشوفيني ضعيف كده تهدي شوية وتسامحيني على اللي عملته فيكِ"
"أنا عمري مازعلت منك بس هاقولك حاجتين" .
"حاجتين بس قولي إن شالله مليون" .
"لا هم حاجتين، الأولى عايزة اعرف تفاصيل أكتر عن كل حاجة" .
"سهلة والتانية؟"
"ممكن نبقى مع بعض لو اتحايلت علي" .
***

(دفتر الملاحظات - العقل)

إنجاز جديد وهو ينتصر على كل من توقع فشله، كان قد تخطى جميع المقابلات الشخصية في إحدى كبري الشركات دون وساطة من أحد، مرت جميع المقابلات بصورة طبيعية إلا المقابلة الأولى أو اللقاء الأول بينهما حين وجهت إليه سؤال وحاول أن يظهر إمكانياته .

"تحبي أجاوب بالإنجليزية أم بالفرنسية؟"

لم تبال وهي تطلب منه أن يجيب بأي لغة يفضلها، ولكنها صاغتها بأربع لغات مختلفة بمخارج ألفاظ وتمكن واضح يدل على إجادتها لجميعهم، بدأ إجابته بالإنجليزية وفي منتصف الإجابة حول اللغة إلى الفرنسية، في هذه اللحظة لم يهتم أن ينجح في المقابلة أو لا، ولكنه أراد أن ينتصر في هذا التحدي، ابتسمت وهي تستمع إليه، كان من الواضح أنها موظفة جديدة، فقد كان يجلس بجانبها مديرها ومديره، ولكن قدراتها الخاصة وضعتها في مكان خاص سريعًا، أبدى مديرهم إعجابه بمعلوماته وإجادته لعدة لغات، غير إنه أعجب بروح التحدي . كانت هي المسؤولة عن تدريبه، رغم حداثتها في هذا المكان والتحاقها بالشركة من فترة وجيزة .

"أنت شاطر ومحدش قال حاجة، بس لازم تتعلم الأول طريقة الشغل، فمن فضلك نهدى شوية" .

تقبل كلماتها بصدر رحب رغم إنه في أي مكان أخر لا يسمح لأي أنثى أن تتحدث له بهذه الصورة ولكنها مختلفة، كان من الواضح أنها من مستوى

اجتماعي أعلى منه .

***

ترك حلمي القلم كعادته حين يحاول أن يتذكر تفصيلة بعينها، رفض أن يكمل فقد أقسم من قبل إنه لن يكتب هذا الجزء، لا يريد أن يشعر بالإحباط مرة أخرى، كتب هذا الجزء أكثر من مرة من قبل، ولكن في كل مرة كان يفشل في وصف حالاتهم، كان يتقزز كلما فكر في كيف كانا يفكران أو كيف قررا الارتباط، كلاهما كان يتعامل مع الآخر على إنه سلعة .

"حلمي مالك؟"

"مركز بس شوية يا حبيبة، في حتة في الرواية معصباني" .

"خلاص بلاش تحكيها" .

كان احتياجه منها محدودًا، أن يرتقي بمستواه معها، وهي كانت تحتاج أن تنجح مع شخص أكثر طموحًا، فقررت أن تنهي علاقتها وقرر أن يقتل علاقته .

"أنت بتعيط يا حلمي ليه؟"

"بيصعب علي قوي لما حد يسيب حد بيحبه، عشان فاكر إنه هايعيش من غيره أحسن، ومش عارف إنه من غيره أساسًا مش هايعيش" .

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

كان اللقاء الأول في حضور الأسرتين، رفضت اللقاء خارج حدود المنزل كما رفض هو أيضًا، من اللحظة الأولى في لقاء الأسرتين اتضح لوالدتها أن بينهم اختلاف فكري كبير، ولاحظت والدته نفس الاختلاف .

"احنا طبعًا نتشرف أن احنا نطلب ايد بنتكم، بس حقكم علينا إنكم تعرفوا ظروف ابني بالتفصيل" .

هنا ابتسمت والدتها فهما الآن على نفس الطريق .

"لا يا فندم الشرف لينا حضرتك وكفاية تشريفكم بعيدًا عن أي حاجة بعد كده"

ثم بدأت معركة لطيفة بين الوالدتين؛ لأنه ببساطة اتضح لهما الاختلاف، أما هما فكانا يتحدثان على مقربة منهم في جو روحاني مختلف .

"هو أنت حافظة كام جزء؟"
"١٠ أجزاء بس ٥ كويس جدًا وراجعتهم كذا مرة حفظ" .
"ما شاء الله ربنا يقويك" .
"طب وأنت؟"
"أنا الحمد لله رب العالمين حافظه كله، ومسمعه على شيخ ودلوقتي بحاول اخد الإجازة" .
"ما شاء الله عليك" .
"بتحبي بقى تسمعي لمين من المشايخ؟"
"الصراحة أنا بحب الشيخ يعقوب جدًا، جميل وهادي ومش بتوتر أو أخاف و أنا بسمعه، ومش عايزة أقولك كلامه رباني كثير ازاي" .
"ربنا يثبتك، بس أنا هابقى اجيب لك بقى حاجات تسمعيها لمشايخ تانية" .
لم يكن اللقاء طويلًا وإن غلب عليه الطابع الروحاني، وهذا ما قربهما بشدة، ولكن كان لوالدتها رأي مغاير .
"مش هاتجوز غيره يا ماما" .
"يا بنتي ده بعيد قوي عننا ومش شبهك خالص، وأهله ناس زي الفل بس برده مش شبهنا" .
"يا ماما ملتزم ومتدين والصراحة دمه خفيف" .
"أنت لحقتي تشوفي كل ده؟"
"ايوه، أنت يا ماما بنفسك قلت لي عليه كده" .
"وأنا مش بانكر بس مش شبهنا، أهله غيرنا طريقتهم غير طريقتنا احنا مختلفين يا بنتي" .
"يا ماما" .
"أنت حرة بس ارجوكي فكري وادي نفسك فرصة تتقابلوا كمان مرة" .
احتياجها لمن يدعم جانبها الروحي في هذا التوقيت هو ما جعلها تُصرعليه، أحلام الفتاة الصغيرة قد انتهت، رسمت لنفسها حياة ملتزمة معه، أما هو فكان شغله الشاغل البحث عن كيفية إسعاد زوجته وحكم الدين وواجباته تجاهها

نظر كلاهما إلى غرفة وحيدة .

***

نظرت حبيبة إلى حلمي .

"ايه موضوع الغرف ده ؟!"

"كل واحد جوه الورق ده كان باصص في حتة واحدة، اللي كان بيفكر في المكان اللي هايعرف يعمل فيه علاقة مع مراته، والثاني كان بيفكر في المكان اللي هيجتمع فيه مع ناس من مستوى أعلى أو اللي كان بيفكر في ركن للصلاة" .

"مش عيب طب ما أنا اتجوزتك وعلى طول قاعدة معاك في "غرفة واحدة" بس الصراحة ماليها علي" .

"مش بالمعنى الحرفي يا حبيبة، لازم لما يكون عندك شقة وفيها غرف كثير زى علاقات اجتماعية وروحية وجنسية ومالية وعاطفية، يبقى لازم تفكر فى كل غرفة من دول، وتعرف أنت محتاج ايه في كل واحدة، لازم نبص لكل الغرف" .

(٥)
أصعب موقف

«مصعبتش عليك»
عامر منيب
ألبوم حب العمر- ٢٠٠٣

مصير أم قرار!

"أنت عارف طبعًا يا دكتور أنا باجي هنا من قد ايه" .
"طبعًا، ده الشهر الخامس" .
"طيب مافيش حاجة بتتغير" .
"مافيش تغيير من ناحيتكِ؟!"
"أنا زي ما أنا وهو اللي بقى صعب وبزيادة" .
"طب ليه ماتقوليش أن هو زي ما هو وأنت اللي بقيتي أحسن" .
"أنت بتفكر كده ازاي؟"
ابتسم حلمي حين أكملت .
"أنا آسفة يا دكتور ماقصدش" .
"لا عادي، بس لازم تعرفي حاجة، اللي انهار في سنين صعب قوي يتعالج في أيام، احنا عايزين نرجع الرغبة بينكم، عايزك تخليه يحلم بيكي" .
"يحلم بيّ !! ماتضحكنيش يا دكتور" .
"هيحصل" .
"خائفة يا دكتور هو مايكمّلش" .
"تاني مالناش دعوة بيه، وخائفة أن هو مايكملش، ولا خائفة توصلي لدرجة من الوعي اللي تقدري بعدها تقرري مصيرك بلا ضغوط" .
"أنت على طول بتصدمني بواقعية كلامك" .
"بصي، بقالنا خمس شهور شغالين عشان تفهمي نفسك، وتعملي صيانة نفسية ليها، وعندي أمل كبير إنك تقدري وهيحصل" .

***

انتهت مرحلة المتعة وبدأ واقع يهربون منه يوميًا، يوم جديد مادي بحت يمر على غادة، بمجرد دخولها اتجهت والدتها إليها .
"أنا شفت بنت الأستاذ محمود جارنا وهي ماشية مع ولد وماسك ايديها، اياكي تكوني بتعملي كده؟"

"لا ماتخافيش يا ماما"،وهمست: "وأنت فاكرة أن في حد أساسًا هيعبرني" .
"بتقولي ايه؟"
"ولا حاجة بقولك ماتخفيش يا ماما" .
"طب خلي بالك عشان لو ده حصل اخوكي هيمسح بيكي الشارع متجرجرة من شعرك" .
"يا ماما قلت لك مستحيل وماتخافيش، "ويلا غوري بقى وارحميني"، هذه الجملة لم تسمعها الأم فقد كانت همسًا .
لم يكدر صفوها سوى هذا الأخ الذي نصب نفسه واصيًا عليها، يتدخل في شؤونها الخاصة، ولا يظهر بمظهر الأخ الوديع إلا في الحالات النادرة التي يتحول فيها إلى أكثر الرجال أدبًا حين تأتي إليها إحدى صديقاتها، أما والدها فهو بالكاد يراها قبل نومها، كان نادر التواجد في المنزل ولكن للحق كلما أتيحت له الفرصة للحديث معها كان يستغلها، يحبها كحبيبة وصديقة ولكنه أهمل هذا الحب لصالح واقع مادي فرض على تلك الاسرة .
"عاملة ايه يا حبيبتي؟"
"كويسة يا بابا بس قول لاخويا يخف شوية، لاحسن والله بيزودها قوي وماما كمان ماشية على هواه" .
"هاكلمه حاضر، بس لازم تعرفي أن اخوكي راجل وخائف عليكي" .
"يا بابا ايه علاقة الرجولة بالتهديد؟"
"عشان لسه صغير ومش فاهم" .
"طب ما أنا كمان صغيرة اشمعنا هو مش فاهم وأنا اللي لازم افهم" .
"خلاص يا حبيبتي هافهمه وهاكلمه بس والله أخوكِ طيب، أنت مش عايزة حاجة" .
"لا يا بابا بس كلمه عشان خاطري" .
تعلم أن والدها يحبها ولكن لديها شعور دائم بالنقص، كيف يحبها ولا يتواجد بجانبها، تركت همومها وهي تخرج الكاسيت الصغير من ركنة خلف سريرها، وضعت شريط لراغب علامة هذا المغني الرومانسي، وهو يغني "مش مهم"،

وبعد لحظة من البكاء مع " قلت الوداع الحلم ضاع وكل معنى في قلبي ضاع"، أخرجت كتبها وبدأت في مراجعة دروسها .

لم تكن ياسمين تهتم بدراستها، هي تعلم أن مستوى ذكائها أعلى بكثير من أقرانها، وتعلم أيضًا أن والدها سيوافق على طلبها للدخول لأي جامعة خاصة، وكانت أمها تشجعها على هذا وكانت دائمة الترديد .

"باباكي معاه فلوس اطلبي منه اللي أنت محتاجاه وماتتكسفيش ده باباكي" .

رحل الأب عن الأسرة منذ سنوات إلى إحدى الدول الأوروبية، حاول كثيرًا أن يقنع والدتها أن تعيش معه هو وياسمين وأختها، ولكنها كانت دائمة الرفض بحجة أن بنتيها لا يجب أن ينشأن في مجتمع غربي، الغريب في الأمر أنها كانت تدفع ياسمين دفعًا إلى الفساد الأخلاقي، كانت تهتم فقط بسعادتها هي وأختها دون النظر إلى أي شيء، طالما تحتفظ بنتاها بعذريتهما، لم تمانع تلك الأم أن تترك ياسمين تسافر وقتما تشاء وتعود وقتما تشاء، تركتها لتختلط بأقرانها من الصبية دون حد إلا حد وحيد .

"ياسمين حافظي على نفسك، اوعي تفرطي يا بنتي في نفسك لحد، أنت لجوزك وبس" .

"لا يا ماما مستحيل طبعًا" .

كانت صدمة ياسمين كبيرة في والدتها بعد ذلك، الأنثى التى تركها زوجها ورحل وهي في أوج أنوثتها، لتخطئ مرة وحيدة مع رجل أخر ولكن لسوء حظها رأتها ياسمين، ولكنها لم تخبرها قط وإن ظلت ذكرى معلقة في رأسها .

مها أيضًا لديها سر تعلمه وحدها، فقد اكتشفت مها أن والدها متزوج بأخرى، ورغم هذا السن الصغير لكنها اتخذت قرارًا بعدم البوح إلى أي شخص، كانت تشاهد أمها تهان كل لحظة وكانت تحاول هي أن تكون سندها، تحاول أن ترسم البسمة على وجه امرأة قبل أن تكون أمها، احتفظت مها لنفسها بحق حديث يومي مع أمها .

"عملت ايه في المدرسة النهاردة؟"

"زي كل يوم يا مامتي مافيش جديد، هبة وياسمين بيحلووا وغادة عايزة تبقى

نجمة وأنا بضحك من المرارة اللي جتلي بسببهم والله يا مامتي أنا هاضربهم بالنار هم الثلاثة وارتاح" .
"طب بقولك ايه تيجي نضربهم سوا ونتحبس واهو نهرب من هنا" .
ورثت مها خفة دمها منها، رغم كل الهم الذي تتوشح به في نهارها قبل ليلها حافظت على ابتسامتها وخفة ظلها، ظلت بجانب والدتها كثيرًا حتى اللحظة التي علمت فيها بزواج أبيها، صدمتها لم تضعفها بل كانت أقوى بكثير مما توقعت وطلبت الانفصال، ووقفت مها مع أمها إلى أن استردت كامل كرامتها التي أهدرت على مر سنوات، لم تكن تعلم مها أنها كانت المصدر الذي استمدت أمها منه طاقتها .
هبة أيضًا كانت أمها هي مصدر قوتها، تلك المرأة التي كانت تتحكم في المنزل وكلمتها هي الأولى والأخيرة، استمدت هبة من أمها القوة والثقة، هبة كانت أصغر أخواتها سنًا، وكانت الأم أكثر خبرة وأرادت تجربة أسلوب مختلف في التربية عن الذي اتبعته مع أخواتها، فقررت أن تكون أقل حدة معها وحاولت أن تكون أقرب لها كصديقة من كونها أم، كانت تعلم أن هبة تخوض تجربة حب ولكنها كانت دائمًا تقول:
"يا هبة يا حبيبتي أنت هتقعدي وتختاري أحسن واحد في الدنيا، أنت أميرة شكلًا وأخلاقًا" .
هبة شعرت بالتميز داخل أسرتها، فكل القواعد تطبق على الجميع إلا هي، وكانت الأجمل بين زميلاتها كانت تعلم أنها مختلفة .

***

أنهى خالد اللقاء وهو في قمة سعادته، أخيرًا أصبح مرتبط رسميًا وتمنى لو يخبر أصدقائه عن العلاقة، ولكن شيئًا ما في صدره جعله يصمت لسنوات، عاد مسرعا للبيت ليرتب حضورهم قبل أن تصل والدته إلى المنزل، خالد يعيش معها فقط، فالوالد يعمل بإحدى الدول العربية ولا يأتي إلا في الأعياد وشهر آخر في وسط العام، غير ذلك تذهب الأم وخالد إليه في الإجازة الصيفية وإجازة منتصف العام، استطاع ترتيب كل شيء في وقت قياسي وكان عماد أول الحاضرين، وقف

عماد ينظر إلى الشارع من أعلى وهو ينفث دخان سيجارته ومعها لهيب غيظ، فهو لم يستمتع بأميمة رغم أنه ظل بين فخذيها لساعة كاملة، هو يعشق النوم معها تحت نفس الغطاء، ولكن فكرة أن هناك غيره في حياتها تشعره بغيرة يرفض البوح عنها، ففي النهاية هي أميمة صديقة الكثير من الطلاب .

"أنت مش هتشغل الفيلم ولا ايه يا عم؟"

لا يزال خالد في قمة نشوة الحب ولم يرد عليه، ليعاود عماد .

"أنت يا عم" .

"ايه عايز ايه؟"

"أنت مش هتشغل الفيلم؟"

بعد أن عبر عن اعتراضه بصوت عميق من الأنف كعادته .

"أنت مش لسه كنت عند أميمة ايه بلاعة؟"

"ايه النق ده يخرب بيت أهلك" .

"اصبر شوية العيال جايه؟"

"يا عم شريف هيعمل فيها شَريف ويلف وشه؟ ووائل هيبقى عايز يروح بسرعة، ما أنت عارفه بيتكسف مننا ومش هينفع . . . . ." .

لم يكمل الجملة إلا والدة خالد تطرق على الباب .

"ايوه يا ماما عماد هنا" .

"طيب يا حبيبي مش عايزين حاجة؟"

"لا شكرًا، وائل وشريف جايين" .

"ماشي أنا جوه لو احتجت حاجة" .

شريف لا يزال منتشي بالفوز مرتين على وائل وبمجرد أن دخل .

"الزبون اتغلب مرتين وشال المشاريب" .

"ما أنت على طول بتغلبني مش عارف فرحان كده ليه، فين الفيلم يا عم خالد مافيش وقت" .

"أنت مسروع كده ليه؟"

يتذكر وائل دائمًا هذا الأب الذي يمارس عليه ضغوطًا كثيرة حتى في اختيار

أصدقائه، ورغم محاولاته المستميتة للبقاء على صداقتهم لصار وحيدًا .
"يا عم مش عايز أتأخر، الراجل اللي في البيت ده هيقرف اللي خلفوني، والصراحة كمان أخوكم تعبان" .
بدأ الفيلم جلس الجميع على مقربة من التلفاز إلا شريف انطوى في زاوية، وحاول جاهدًا مقاومة المشاهدة، أخذ يتابع الفيلم خلسة بين الحين والآخر، أشعل سيجارة جديدة في محاولة أن يفقد تركيزه، فالشهوة بدأت تتمكن منه، على الجانب الآخر لم يتردد عماد في وضع يديه داخل ملابسه ليقذف شهوته، أما خالد فلم يهتم لأنه سيشاهده منفردًا بعد رحيلهم، وائل ظل مترددًا هل يفعلها هنا أم يعود إلى المنزل، ولكن ستكون متعة اللحظة قد انتهت، سؤال ظل يتردد في رأسه إلى أن انتهى الفيلم، وشريف يشرب السيجارة الثالثة، أما عماد فكان يقف ليرتب ملابسه وكأن شيئًا لم يكن .
بمجرد أن رحلوا توجه خالد إلى الهاتف .
"الو" .
"كان نفسي أنت اللي تردي" .
"يالهوي، أنت بتتصل هنا إزاي؟"
"عادي بكلم بنت عمي" .
"يا سلام" .
"وهو أنت مش بنت عمي ولا ايه؟"
"خالد أقفل والنبي أنا هاموت" .
"لا ما هو أنت ماردتيش علي" .
"اقفل بقول لك" .
"ردي الأول" .
"مش عارفة" .
"طيب ايه؟"
"مش عارفة والله، هاقابلك بكره" .
بمجرد أن عاد شريف إلى المنزل وبعد أن ارتدى ملابسه، توجه إلى والده وببلاهة

مصطنعة سأله:
"بابا في حاجة بيضه كده نزلت ايه دي؟"
"ادخل استحمى عادي دي طاقة زيادة بس" .
"طاقة زيادة" ظلت تتردد الإجابة في رأسه وهو يسأل نفسه "هو ليه ماشرحليش؟!"
***
نظر حلمي إلى بندول ساعته وارتدى نظارته بعد أن أزال ما عليها من غبار، واتجه إلى حائطٍ خالٍ وبدأ في تثبيت ملاحظات جديدة .
"بتعلق ايه تاني يا حبيبي؟ احنا قربنا على الصبح" .
"مش عارف أنام" .
"طيب بتعلق ايه؟"
"دي اللحظة اللي ممكن تكون فرقت مع كل واحد فيهم" .
"وأنت عرفت منين بقى؟"
"كل مشاعر بتأثر فينا في الحياة لازم تبدأ في لحظة، وأنا أعتقد إني لقيت اللحظة دي عندهم" .
"هاتفرق؟"
"لو اللحظة قدرنا نعالجها حاجات كثير ممكن تتحل" .
***
خالد
أسوأ درجات الحزن هذا الحزن الذي نُجبر فيه على أن نرسم السعادة على وجوهنا، ولكن هذه السعادة اختفت وهربت دمعة رآها هو وحده وهي تمد له يدها في حفل زفافه، وتنظر في عينيه وتسأله:
"ليه يا خالد؟ ما أنت عارف اللي أنا شفته، ما أنت عارف" .
انتكست عيناه وهو لا يدري ماذا يقول ولكنها مالت عليه ودون وعي اقتربت من أذنه لدرجة ظن البعض أنها تقبله، وقالت:
"هنساك يا خالد بس أنت مش هاتعرف تنساني، والله العظيم ما هتنساني" .
ثم مالت بعدها وقبلت العروس وهي تطلب منها أن تضع خالد في عينيها

وقالت:
"خلي بالك من خالد، ده أجدع واحد في العائلة كلها" .
ثم نظرت إلى خالد وابتسمت ابتسامة ثقة والتي انتهى بعدها الحب من قلبها للأبد .
مها
كان الطريق إلى قاعة الفرح أشبه بطرق سباقات الصحراء، أنت وحدك وحرارة شديدة كان يشعر بها رغم المكيف الذي يعمل على أعلى درجاته والسيارة الفارهة، وبمجرد أن وصل إلى قاعة الفرح اختفى الحضور وبقيت مها أمامه ودمعة حبيسة في عينيه، نظرت إليه ورفضت أن تخفي ابتسامة رسمها على وجهها من تتمايل بين أحضانه، فهو أحق بالابتسامة عن حزن إشفاقًا على ماضٍ رفضها، كان قلبها يُعتصر من الحزن وللمرة الأولى تشعر برغبة في البكاء منذ أن تركها، فهي تعلم أنها لا تحب هذا الرجل الذي يطوق خصرها بذراعيه وإنما جمعهما الاحتياج .
غادة
جلست غادة كعادتها تستمع الي الكاسيت على أقل درجاته، حين سمعت أصوات أصدقاء أخيها في الخارج، كان الصوت طبيعي للحظات، ولكنه بدأ يعلو تدريجيًا حتى سمعت صوت صريخ أمها، تملكها الخوف وهي تفتح باب غرفتها وتخرج بملابس نومها لترى أصدقائه يبكون ووالدتها في انهيار ورأتها على الأرض وهم يحاولون حملها وتقول:
"ليه كده أنت ظالم؟ ليه تاخده ليه؟"
نظرت إلى والدها الذي فقد القدرة على الكلام إلا من جملة ظل يرددها وهو ينظر إليها .
"تصدقي مات يا غادة، اخوكي مات" .
لم تستوعب المشهد إلى أن سألت أحد أصدقائه: "في ايه؟" وهو يرد: "مات، اخوكي مات"، لم تشعر بمثيل لتلك اللحظة في حياتها، وللمرة الأولى منذ زمن بعيد تشعر أنها كانت تحبه، ولم تقاوم يديها وهي تنهال لطمًا على وجهها، ثم

تتجه إلى أصدقائه وتضربهم بكل قوة تملكها .
"موتوا اخويا ليه؟ موتوه ازاي؟ مين موته؟"
مشهد لأم على الأرض وأب يجلس دون حراك، وهو يردد: "اخوكي مات يا غادة"، وأخت تنهال ضربًا على الجميع بيديها وهي تردد .
"أنا السبب، أنا اللي موته، أنا اللي دعيت عليه" .
مشهد ظل يلازم تلك الأسرة فترة طويلة، ويلازم غادة مع شعور بالندم على دعوات كثيرة كانت ترجوها أن يرحل عنها، لم تكن تعني أن يموت، فقط أن يتركها دون تدخل إلا أن نعمة النسيان التي أنعم الله بها علينا جعلت الحزن يقل مع الوقت، إلا أنها رفضت أن تترك غرفتها الصغيرة وتنتقل إلى غرفته وإن خف الضغط عليها لتبدأ غادة مرحلة جديدة .
ياسمين
لم يكن هذا الأسبوع أصعب من الأسبوع الذى سبق زواجها حين تحدثت معه .
"أنت بتتصلي ليه دلوقتي؟"
"أنا خايفة" .
"بلاش تتجوزي، بلاش ومش عايز اتجوزك بس بلاش" .
"مش هاينفع" .
"ليه؟"
"مش هاينفع وخلاص" .
"طب تعالي هاتجوزك حالًا، اقسم بالله هاتجوزك حالًا" .
كانت تعلم أن اختيارها خاطئ وتدرك جيدًا أنها ستندم .
لم يرد على رسائلها بعد زواجها إلا بجملة واحدة، "عيب أنت ست متجوزة" .

عماد
"ممكن طلب" .
"للأسف لا، عشان أنا أضعف من إني أرفض لك طلب، أنا لسه ضعيفة بحبك، ومش متخيلة حياتي من غيرك، لأنك ببساطه كنت حياتي" .

"أنا عمري ما هاختار حد . . . ." .
"قلت لك اسكت وسيبني اتكلم معاك للمرة الأخيرة، سيبني اقولك اللي أنت ماعرفتوش طول السنين الكثير اللي فاتت، ايوه أنا بحبك وايوه استنيت اليوم اللي تبوسني فيه، كان نفسي ابوسك وكان نفسي اكون في حضنك، كنت بامنع نفسي عنك كل يوم عشان مستنيه استمتع بحضنك في الوقت الصح، اللى احس فيه بحبك، بس واضح انها هتفضل أمنية، أنت النهارده بقيت حلم الطفولة وهاحاول ارسم حياتي من جديد" .
تركته وللمرة الأولى يشعر عماد بمعنى الفقد .
هبة
فقدت اتزانها مع هذا الشعور بالفقد، لم تعد الأميرة التي تلهب الأبصار ببريقها، لم تعد سوى جسد بلا روح، انقطعت هبة عن عالمها، وظلت حبيسة حزن رفضت أن تبوح به لأحد، ظلت تائهة لسنوات إلى أن تغير كل شيء بعد أول لقاء لها مع إحدى الداعيات أم إكرام كما كانوا يلقبونها، هذه الأم الرائعة التي حاولت بلين أن تُصلح ما أفسدته أسر كثيرة ومجتمع من أخلاقيات وأساسيات الدين، كان هدفها أن تضعهن على أول طريق الإسلام الصحيح، الدين الذي كرم المرأة كما لم يكرمها أحد، كانت تحمل شهادات أزهرية وأخرى من دول إسلامية وجامعات عن الشريعة والأحكام، متخصصة في علم النفس وطبيبة بشرية ومع كل هذا كانت ابتسامتها تأسر طلابها، تدريجيًا ومع نصائح أم إكرام بدأت تعود إلى روحها، ومع الوقت بدأت في نسيانه، ليس لأنها لم تعد تحبه ولكن لأن العلاقة دون زواج حرام شرعًا .
استمعت لمحاضرات كثيرة للشيخ يعقوب، وخاصة وهو يقول: "يا من تبحثين عن الحب يا من تبحثين عن الأمان، يا من من تبحثين عن الاستقرار، يا من تبحثين عن الحياة والسعادة، ومثلها للشباب لن تجدوه إلا بالدين"، ثم يقول: "قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار" . وشيئًا فشيء بدأت تخرج من حزنها إلى أن رحل

تدريجيًا من قلبها، وإن ظل ذكرى .

شريف

كانت الخطيئة الأولى في حياته حين مارس معها علاقة جنسية كاملة، عاد بعدها إلى منزل الأسرة ودون أن يلقي التحية على أحد دخل إلى غرفته وأغلق جميع الأنوار ودفن نفسه تحت الغطاء وكل أمانيه أن ينام في أسرع وقت ممكن، خوف سيطر عليه لأيام، أصبح يخشى الضوء حتى ضوء الثلاجة كان يرعبه، رغم هذا الخوف كان في حالة من الدهشة عما بدر منه، كيف استطاعت أن تغويه، كيف استطاعت أن تُقنعه أن يمارس معها علاقة كاملة؟ كيف اقتنع وهي لا زالت على ذمة رجل آخر؟ كيف أقنعته إنه لا يوجد مجال للعودة إلى زوجها؟ وأنها في أشد الاحتياج له؟ سؤال لا زال مستمرًا معه ويدرك أنه مهما طال الوقت سيقتص الله من فعلته، وظل يستغفر كثيرًا، ولا يزال يستغفر فقد يغفر الله له ويصون أهل بيته .

وائل

"أنتم بتتصلوا بوائل كثير ليه؟"

كان هذا السؤال ما طرحه والده على أهل فتاة كان قد كتب كتابه عليها وشاءت الأقدار أن تتوقف الزيجة، ضعف وائل جعله يهرب من المواجهة ولكن كان لا بد للزيجة أن تنتهي، لم يفعل شيئًا سوى أنه وكّل والده لتطليق تلك الفتاة، ولم يؤثر فيه شيء سوى اتصال منها .

"وائل أنا عايز اقولك حاجة واحدة بس، الحمد لله أن احنا اطلقنا، عشان الراجل اللي مايعرفش يطلق لوحده، اكيد ماكانش هايعرف يتجوز لوحده" .

أغلقت الهاتف وأغلق هو بعد المكالمة علاقته بوالده، لأنه أدرك أنه يسيطر على كل حياته، وبدأ مرحلة مختلفة .

***

توقف حلمي وظل مؤشر الكتابة يومض لفترة طويلة أمامي، لا زلت أحاول استيعاب تدفق الأحداث، دقائق عاد بعدها حلمي لقلمه،

شيئان من الممكن أن يغيرا حياة الإنسان موقف يمر دون تدخل منا، واختيار

بكامل إرادتنا .
وضعت حبيبة كوبًا من الشاي أمامه وجلست .
"وقفت ليه؟ كمل!!"
"تعبت" .
"لا أنا عايزة اعرف التفاصيل كلها لما كبروا، هم فضلوا اصحاب البنات والولاد وحصلهم ايه؟"
"هم ماكانوش اصحاب وهم صغيرين" .
"ماكنوش أصحاب، ازاي يعني؟!"
"ايوه هم الثمانية عمرهم ما كانوا أصحاب، بس قصصهم كانت شبه بعض، وكل واحد فيهم كان عنده اصحاب شبه باقي شخصيات روايتنا" .
"أنا مش فاهمة حاجة، ومش هاعرف أكمل وأنا مش فاهم حاجة" .
"ياسمين وهبة وغادة ومها وهم صغيرين عمرهم ما عرفوا بعض، بس كل واحدة فيهم كان عندها شلة فيها باقي الشخصيات، يعني هبة كان ليها شلة فيها بنت شبه ياسمين وشبه غادة وشبه مها" .
"يا سلام!"
"والأولاد كمان كل واحد كان له شلة وكل شلة كان فيها نفس الأربع شخصيات" .
"نعم" .
"اه يا حبيبة شخصياتهم هي أبطال الرواية مش أسمائهم، الأسماء دي حروف بتتكتب على ورق جنب صورة، عشان نفرق بين بعض، إنما الأهم شخصيتنا من جوه، مشاعرنا وكل إحساس مر بينا ومرنا بيه" .
ثم وضع حلمي رأسه بين يديه وهو ينظر إلى الأوراق المعلقة أمامه ودفتر ملاحظاته وابتسم .
"هم ماكنوش أصحاب وهم صغيرين، بس اتجوزا بعض لما كبروا" .
دائمًا ما أصل إلى هذه اللحظة وأشعر معها بالملل، ربما لا أريد أن أستمر في تدفق أحداث روايتهم، أجلس الآن داخل الحانة أتأمل كوب كبير من البيرة، وأشاهد

عن كثب فقاقيع الرغوة وهي تفور وتفور معها ذاكرتي، أتنفس من سيجارتي نيكوتين لإحياء ما تبقى من خمول عقلي، أهرش في رأسي وأنا أنظر خلسة إلى فتاة تحاول أن تتعرى وتتمايل، ولكن حجم مؤخرتها يثير اشمئزازي، احاول بمجهود جبار أن أمنع معدتي من أن تلفظ ما بها، فلو حدث سأفقد توهان عقلي وأصحو إلى هذا العالم من جديد، أطلب من سلمان البارمان زجاجة أخرى، يعترض سلمان عندما أصل للزجاجة الخمسة، أضحك بضجر: "هات يا سلمان مش نقصاك"، يحاول أن يلاطفني فهي عادته مع زبائنه: "يا أستاذ الكيف مزاج ولما يقلب سكر يبقى هم ووجع"، أعود بظهري وأحاول الاعتدال ممسكًا كوب من البيرة .

"تعرف أنا بقالي قد ايه في الدنيا دي، بقالي، مش فاكر بس كثير، بقالي كثير بقاوح فيها وتقاوح في، بتوجعني وحاولت ياما اوجعها ومعرفتش، حاولت اطنشها تلزق، احاول الزق أنا فيها تتحرش بي، انفض لكل حاجة وابقى تافه اقابل مشاكل الدنيا، ثم اخبط بيدي على قدمي، يا سلمان الوجع موجود والسُكر مش بيزوده، غير أن البيرة أساسًا مش بتعمل في راسي دي اي حاجة"، يزيح سلمان كاسات كثيرة، ثم يمسح الرخام: "يا استاذ الدنيا شوية وشوية" . يقاطعه وهو يضحك: "اهووو اااانا بقى، هاهاها، الشوية بتوعي كلهم غم صب يا عم بيرة كثيرة ماتوجعنيش" . أشرب آخر زجاجة وأترنح في طريقي إلى المنزل، أجد كلب ضال أجلس جانبه، وقف الكلب مرتعبًا وحاول الفرار إلا أن هدوء اللحظة طمأنه وعاد جلس مكانه، "ماتخفش يا عم الكلب أنا مش هاجى عليك زي ما الدنيا جت، تخيل أنت حظك كان هيبقى عامل ازاي لو كنت كلب هاسكي حلاوة ومسمسم وعايش في فيلا وعندك جنينة، تعرف أنا لو لي اختيار ابقى ايه كنت اخترت ابقى كلب، بس عند ناس طيبين وبيحبو الكلاب مش هبقى كلب و مرمي في الشارع" . يمر من أمامي رجل بدا أنه عائد من عمله، وضع جنيهًا في يدي وتركه، نظرت إلى الرجل إلى أن رحل، ثم نظرت إلى الجنيه والكلب، "شفت يا عم بقيت شحات بعد السن ده بقيت شحات؟؟" أصدر الكلب زمجرة، "حتى أنت مش طايق كلامي، ده أنت كلب ابن كلب صحيح"،

يترك الكلب ويسند رأسه على سيارة ويحدث نفسه في صمت، "سؤال أردده كترنيمة مقدسة "هل لا زلت أحبها؟ هل أحبها أم أشتاق لهذا الممر الذي جلسنا فيه نتذوق متعة القبلات، أم أنني أفتقد ابتسامتي بعد كل رسالة منها؟ كيف كانت ابتسامتي؟ وكيف تركت رسائلها تُرسل لغيري؟" سخط على تلك الذاكرة التي لم تعد تسعفني سوى بذكريات، أشتاق ثم أشتاق وأشتاق، وأنا أحاول أن أتذكر كيف كانت، حاولت كثيرًا أن أقنع نفسي أنها انتهت، ولكن هل تقتنع عيوني أنها لم تعد بريقها، وتستوعب أنفاسي أن الهواء فقط هو ما يعطيني قبلات للحياة، عدت لمس الجنون وعدت أحدث نفسي، اصمت يا قلبي قليلًا عن النبض، وأخبرني كيف كنت تحبها، كيف تركتها هل لك من القلب شيء وأنت من أخرس نبضها، ربما لم يعد قلبي يحبها، إنما فقط يحب هذا النهر الذي جمعنا، رأسي تلومني على كل ذكرى دونها، اه تذكرت الآن أول ابتسامة منها عندما أخبرتُها أني أحبها، لا لم تكن الابتسامة أروع ما حدث، الأروع كانت قطرات دمي وهي تعزف مع قلبي لحن من نبضات قلبها، لا من المؤكد أنني لم أعد أحبها، قاطعني زمجرة الكلب مرة أخرى، نظرت حولي ولم أر سوى ظلام، بالكاد فتحت عيني على صوت المنبه، ونظرت إلى شاشة الحاسب الآلي فلا زال المؤشر يومض .

(٦)
ذكريات

"اللي جرحني"
شيرين عبد الوهاب
ألبوم لازم أعيش - ٢٠٠٥

لساكِ كلمة بتتنطق إعجاز بين أمنيات .

انتهت مرحلة المدرسة، وما أن بدأت الدراسة الجامعية حتى صار لقائهم مقتصرًا على أيام الإجازات وانتهى لقاؤهم اليومي إلى الأبد، وبدأ جميعهم في البحث عن واقع جديد مع أصدقاء جدد، والبحث عن بداية جديدة لمشاعرهم لكنهم بقوا أصدقاء لذكريات لا يمكن أن تُمحى .

وضعت حبيبة كوب الشاي على منضدة أمامها وقالت:

"حلمي، ايه الحب؟"

"مالوش وصف" .

"ازاي!!"

"الحب فعلًا مالوش وصف ولا ينفع أقول لك الحب هو كذا، الحب يا حبيبة مرتبط بالشخص، عامل زي الجين اللي في خلايانا بس جين موجود في أرواحنا، كل واحد له صفات حب مختلفة، ومش بس الجين اللي مؤثر في فهمنا للحب كمان المواقف اللي عشناها، خليط من روحنا والواقع اللي عشناه" .

"يعني ممكن فهمي للحب يختلف مع كل موقف اعيشه؟"

"في ناس يا حبيبة بتقول الحب هو الصبر، وناس بتقول الحب تضحية أو اهتمام، وناس بتوصف الحب باللحظة اللي قلبك يدق فيها ونفسك يقف وتبقى عامل زي السكران ومش شايف غير اللي أنت بتحبه، غيرهم بيقولوا إنه الإخلاص، الناس بتحب حسب تجاربهم" .

"وايه فيهم الصح؟"

"الحب له مليون معنى وكلهم صح، المهم ازاي بنحب" .

"تاني إزاي بنحب؟"

"ايوه يا حبيبة، الحب حالة بيقررها اللي بيحب تكون ازاي، وأي جزء جوانا نحب بيه" .

"يعني ايه أي جزء؟"

***

حاول شريف أن تكون المرحلة الجامعية بداية مختلفة لمشاعره، التحقت غادة بنفس الكلية، وبحكم الشبه بين شريف وأخيها المتوفي اقتربت منه حتى صار كلاهما لا يفترقا، صباحًا في المحاضرات، ويمتد الوقت بينهما في حل الملازم أو مراجعة بعض المواد، كان قلب شريف يتحدث وكان اشتياق غادة إلى أخيها هو الذي يدفعها للتقرب منه، إلى أن قرر قلب شريف الاعتراف .

***

"شريف، عندي سؤال مش المفروض إني أسأله، بس أنا لحد دلوقتي مش عارف أنت بتيجي ليه؟"

نظر من أسفل نظارته وهو يبتسم:

"أنت زهقت مني يا دكتور حلمي؟"

"لا خالص، بس أنت كان عندك مشكلة واحدة، ودي ماخدتش وقت كثير عشان نحلها" .

"تعرف يا دكتور، أنا باجي عشان ماعنديش حد اتكلم معاه" .

توجه حلمي إلى ثلاجة صغيرة .

"أنت عندك أصحاب كثير على حسب ما فهمت من كلامنا، تحب تشرب ايه صودا ولا عصير؟"

"عصير ماشي" .

وقف شريف بجانب حلمي ثم بدأ في الحديث .

"عندي كثير، بس أنا بخاف أحكي لحد أي حاجة، طول عمري بحس إني لو اتكلمت اصحابي هتتريق علي، طول عمري بحب وأنا ساكت، ولما حبيت واتكلمت اتوجعت قوي فبطلت أتكلم، بطلت تمامًا" .

ضحك ضحكة وحيدة بصوت وأكمل .

"ولما اتجوزت بقيت اخاف اتكلم لأغلط ومراتي تحسب الغلطة علي، كثير قوي ببقى نفسي أكلم حد ماعرفوش وأحكي له حاجات كثير وماشوفوش تاني" .

"عشان كده أنت دائمًا جواك كلام، بس تعرف يا شريف أنا عمري ما حسيت إنك مش واثق في نفسك، وموضوع مراتك ده إتحل من فترة" .

"أنا برسم الثقة يا دكتور، برسمها بس" .

***

جلس شريف وحيدًا بعد أن نامت زوجته، أخرج حاسبه المحمول في هدوء وتلفت وبدأ في الكتابة بعد أن تابع وميض المؤشر للحظات .

غادة كانت أول قصة حب، كنت أعلم عنها الكثير بحكم صداقة طويلة جمعتنا، بعد عامنا الأول في الكلية تغيرت كثيرًا ولم تعد تلك الفتاة صاحبة الوزن الزائد والجيب الطويل والكوتشي، أصبحت الفتاة الأجمل بين شلتها - كم تتبدل الأحوال-، لكن كان التغيير ظاهريًا فقط، فلا زالت تحلم بقصة رومانسية، واستمر هذا الحلم رغم أنها الآن "المزة" غادة لقبها التي تستمتع به ولكن حلمها لم يتحقق بعد، كنت أنا وغادة صديقين مقربين لدرجة أن ظن البعض أن هناك علاقة بيننا، وكنا دائمي النفي إلا أن كل شيء تغير في لحظة .

"غادة أنا عايزك في حاجة" .

"أنت مالك رسمي كده!! في ايه يا شريف؟"

أشار إلى أبعد مكان داخل الحرم .

"لا عادي، تعالي بس نقعد شوية هناك" .

"تعالى" .

حاولت جاهدًا أن تكون اللحظة رومانسية، اخترت غروب الشمس وبقعة بعيدة عن أعين الجميع، وباقة صغيرة من الورود أخفيتها بصعوبة، حاولت أن أرسم حلمها، جلست جانبها قدر المستطاع وأخذت نفس عميق، ودون مقدمات استجمعت شجاعة لم أعهدها من قبل:

"غادة أنا بحبك" .

"ايه؟!"

وقفت وعلى وجهها علامات دهشة لم أرها من قبل، ولكني أكدت لها:

"بحبك، اقعدي بس" .

"شريف إحنا!! أنا وأنت أزاي يعني!"

فكت رباط شعرها وحاولت أن تلم شعرها بكلتا يديها .

"والله حاولت ومش قادر" .
"شريف ماينفعش"، قالتها وهي تحاول لم شعرها .
"ليه!!"
"شريف أنت اخويا، وأنت عارف إنك زي اخويا بالظبط" .
تابعت تفاصيل وجهها وأنا أتحدث دون رهبة:
"أنا عرفتك قوي وحاسس بيكِ جدًا، وعارف قد ايه أنت رومانسية ونفسك في علاقة تكون كده، وعارف إنك مش هترتبطي غير بواحد بيحبك وأنا يا غادة بحبك جدًا وفوق ما تتخيلي، أنا بحب اشوفك واكلمك وابص عليكِ، وبحب احساس الحب وأنا بحبك، غادة أنا بعشقك ماينفعش نبقى اخوات" .
"مش عارفة اقولك ايه على الكلام الجميل ده كله، بس شريف أنا، أنا مش بحبك!!"
لم أسيطر على نفسي وأنا أرتل عليها قصيدة كنت كتبتها على الرغم من أني لا أجيد الشعر، حتى أنني لم أسمعها وهي تقول: "أنا مش بحبك"، كانت كلماتها رقيقة ولكن امتزجت كلماتي بدموعها، للمرة الأولى أصبح بهذه الجرأة، لم يكن ينقص المشهد سوى أن أحتضن يديها، أن أشعرها بهذا الدفء الذي يخرج من داخلي، أن تشعر أنها تمتلكني ولكن عدت هذا الفتى الجبان وصمت وتركتها حتى تهدأ .
توترت الجلسة بيننا، حاولتُ احتواء الموقف، وحاولتْ أن تنهي اللقاء وكأنه لم يحدث، ولكن محاولاتنا بائت بالفشل كفشلها في أن تعيد شعرها على ما كان عليه .
"خلاص يا شريف بقى أنت عارف، أنا ماينفعش اكدب عليك واقولك هافكر وكده، أنا وأنت ماينفعش نكون مع بعض" .

حاولت أن تنهي حرارة المشهد ولكني كنت قد رحلت محملًا بخيبة أمل وجرح ازداد يومًا بعد يوم، كنت أتساءل دومًا ألم تحلم غادة بمشهد كهذا طوال حياتها لماذا رفضت إذا؟!

نظر شريف إلى شاشة الحاسب وعاد بظهره إلى الوراء، حاول أن يستعيد غادة من ذاكرته، على الرغم من مرور أعوام على هذا اللقاء إلا أن غادة تركت له شيئًا لم يمحه الزمن، أخذ نفسًا عميقًا ثم عاود الكتابة .

مها لم تتغير مثل غادة، وظلت صاحبة الابتسامة والروح الأجمل، وبقيت على مبدئها ورفضت فكرة الارتباط، حتى خالد الذي حلمت به منذ صغرها رفضته كثيرًا ليس هو وإنما العلاقة، كانت ترى أن الارتباط نشوة لحظية تختفي مع الوقت، أو علاقة محكوم عليها بالفشل بحكم تجارب صديقاتها، ظلت متحفظة في علاقتها بخالد ولكن تحت إصراره ومصارحته لوالدتها وافقت على الارتباط وإخفاء الأمر عن الأسرتين إلا من والدتها، وبدا أن نهرًا من الحب قد انفجر، حتى أصبحت تهتم بأدق تفاصيل حياته، كانت تحبه لدرجة أنها عاشت تفاصيله حتى صار قلبها تفصيلة في حياة خالد .

"خالد أنا قلت لماما إني نازلة اشتري حاجة وراجعة على طول وماقلتلهاش إني نازلة اشوفك" .

"أنت بتضحكي على حماتي، طب لما نتجوز يا مها هاقولها" .

لا زالت تخجل عند كلمة زواج، تلفتت رغم علمها أنه لا يوجد أحد جانبها ومسكت سماعة الهاتف بكلتا يديها .

"ممكن تحلف بحياتي إنك هاتسمع كلامي؟"

"ما أنا بسمعه على طول" .

"أحلف" .

"والله هاسمع" .

"الساعة دلوقت اربعة ممكن نتقابل كمان ساعة؟"

انهت المكالمة لتلتقي به، ولم تمر الساعة إلا وهي أمامه .

"بص أنت حلفت إنك هاتسمع كلامي" .

وضع يديه على كتفها .

"قولي بقى في ايه؟"

أزاحت يده وهي تتلفت حولها وتبتسم خجلًا .

"أنا بقالي شوية باحوش عشان كنت ناوية اجيب البدلة اللي هتخطبني بيها هدية، بس الصراحة الشركة اللي أنت رايحها كبيرة زي ما أنت فهمتني" .
"مها، ماينفعش فلوس لا" .
"أنت حلفت بحياتي" .
"يا مها بس . . . ." .
مسكت يده وبدأت في السير .
"مافيش بس، أنا معايا ألف جنيه" .
توقف ووقف أمامها وهو ممسك بيديها .
"بشرط" .
"كمان هتتشرط" .
"اه" .
"اشرط يا سيدي" .
"توافقي ابوسك يوم الخطوبة" .
مر الوقت سريعًا ولكنها اختارت الشكل الذى حلمت به، بدلة سوداء ورباط عنق أزرق بلون أفتح من لون السماء لحظة صفائها، وقميصين واحد للمقابلة والآخر للخطبة، وبقي مبلغ صغير كان يكفي لشراء ساعة شكلها لا يوحي بأنها صينية المنشأ .
ساعة أخرى كانت هدية هبة لعماد بمناسبة عيد مولده، وإن كانت هذه ساعة يتعدى ثمنها الآلف جنيه، في إحدى كافيهات الزمالك جلست هبة في أبهى صورها تحتفل بعيد ميلاد عماد بمفردهما قبل أن يحتفلا في اليوم التالي مع أصدقائهم، طقوس خاصة يتبعانها منذ المرحلة الثانوية حين بدأت علاقتهما .
"كل سنة وأنت طيب يا حبيبي، ممكن تفتح الهدية؟"
"دلوقتي؟"
"اه" .
فتح الغلاف ثم أبدى اندهاشه وهو يرى نفس الساعة التي أعجب بها معها من قبل .

"و أنت طيبة، بس الساعة دى غالية جدًا" .
"مافيش حاجة تغلا عليك، تعرف امبارح كنت قاعدة كده بافتكر أول مرة كان عيد ميلادك واحنا في ثانوي فاكر عملت ايه فيه؟"
"لا مش فاكر!!"
"لما خرجت مع البنت دي اللي كنت مصاحبها قبل ما تحبني" .
أشعل سيجارة وهو يضع يديه أسفل ذقنه .
"ايه اللي فكرك بيها دلوقتي؟!"
"لا بجد كان اسمها ايه؟ كانت ملزقة جدًا فظيعة مش ممكن" .
"أنت عايزة تتخانقي؟"
"لا والله يا حبيبي أنا بس باهرج وكنت قاعدة امبارح نفسي افتكر اسمها" .
"ياسمين، كان اسمها ياسمين وماتفتحيش الموضوع ده تاني، عشان أنت وبس اللي في حياتي وأنا عمري ما خنتك" .
أشارت هبة إلى مدير المحل لتدخل تورتة كبيرة محاطة بعمال الكافية، واهتز المكان "سنة حلوة يا جميل سنة حلوة يا جميل"، لتختلس هبة لحظة بين هذا الصخب لتقول: " كل سنة و أنت حبيبي"، ليرسل لها قبلة في الهواء، كانت من المرات القليلة التي توافق أن تركب معه في سيارته بمفردهما، كانا على وشك إعلان خطبتهما رسميًا، فقد التقى بوالدتها وكانت باقي الترتيبات مجرد مسألة وقت، بمجرد أن ركبت معه في السيارة رن هاتفه المحمول ليسمع صوت إحدى صديقاته على الطرف الآخر، يستطيع هذا الفتى أن يسيطر على مشاعره سريعًا
"ايه يا عماد أنت فين؟"
"أنا في الزمالك" .
"ايه ده أفتكرتك هتكذب، طب أنا راكنة وراك، انزل لما اسلم عليك وابوسك ولا بطلت تتباس؟"
لم يتوتر عماد هو لم يتوتر قط في حياته، نظرت هبة إليه .
"في ايه؟"
"لا يا حبيبتي ولا حاجة، دي واحدة معانا في الشغل شافتني وهي معدية

وكانت بتروش يعني، بقولك هنزل اجيب حاجة من شنطة العربية" .
"ماشي" .
خرج من السيارة وفتح الشنطة لتحجب الرؤية عن هبة ثم نظر خلفه .
"ايه يا بنتي أنت فين؟
"أنا عايشة أنت اللي بطلت تكلمني، مين معاك؟"
"واحدة صاحبتي كنا قاعدين مع جماعة صحابنا جوه" .
"صحباتك مابيخلصوش، لولا بس أن احنا في الشارع والله كنت حضنتك" .
"لا هاكلمك أنا بليل ونتقابل نحضن زي ما أنت عايزة" .
لقاء لم يتعد الخمس دقائق استطاع أن يسيطر على انفعالاته ومر كأن شيئًا لم يكن .
توقف شريف عن الكتابة وهو ينظر إلى صورة والده وسرعان ما توالت الكلمات أمامه .

***

"هو عماد كان مصاحب ياسمين صاحبة هبة، الاثنين في نفس الوقت يعني؟"
"أنا مش قلت لك يا حبيبة هم عمرهم ما كانوا أصحاب، بس البنت الملزقة اللي ماكنتش عاجبة هبة دي كانت شبه صاحبة عمرها، بس احنا بنحب و بنكره على حسب الموقف، أحنا بنحب ونكره نفس الشخصية في نفس الوقت عشان المواقف" .

***

وائل لا يمتلك تلك القدرة على التحكم في قرارته أو انفعالاته، يتحول وجهه إلى اللون الأحمر ويفقد القدرة على التركيز بمجرد أن يشعر بأي ضغط، والده كان أحد أهم الأسباب التي فقد بسببها القدرة على التحكم في انفعالاته، بمجرد أن تخرج من الكلية قرر والده أنه سيتزوج وعلى الرغم من رفضه لفكرة الزواج إلا أن والده أصر على اختيار عروسًا له، كانت مها ابنة صديق له، فتاة جميلة أعجب الأب بها وقرر أن يخطبها لوائل، أصبح خاضعًا لسيطرة والده حتى فقد القدرة على الرفض، لم تعلم مها بهذا اللقاء سوى صباح نفس اليوم، تحدثت

مع خالد مباشرة .
"خالد عايزة اقابلك" .
"دلوقتي؟"
"يا ريت" .
"بقولك ايه أنا جنبكم نص ساعة كده واجي، هو مال صوتك خايف كده في ايه؟"
"لما تيجي" .
مرت النصف ساعة وكان خالد ومها في الشرفة كعادتهما .
"جايلي عريس النهارده" .
"أنت اتجننتِ ولا ايه؟"
"بابا لسه قايل لي في حد هايجي النهارده، غالبًا يتفرجوا علي" .
"يتفرج عليكِ!! بقولك ايه احنا فيها أنا هاخرج أقوله" .
اقتحمت والدة مها المشهد وهي تعلم عن ماذا يدور الحوار .
"أنتم عاملين موضوع ليه؟ دي حاجة بسيطة جدًا، هو عمك بس اللي ماقليش غير النهارده والناس جايين النهارده، ما أنت عارف عمك مش بيركز في الحاجات دي" .
"طب ينفع احضر معاكم؟"
"مايصحش يا ابني" .
كان الحوار أكثر ندية مع وائل .
دخل والد وائل الغرفة بعد أن طرق الباب دون انتظار رد كعادته .
"فضي نفسك بكره، انزل هات بدلة على حسابي" .
نظر وائل إلى والده وهو يجلس أمام حاسبه الآلي:
"ايه عندنا فرح؟"
"هانشوف عروسة" .
"عروسة!!"
وقف ليعترض ولكن قاطعه كالعادة:

"أنت كبرت خلاص واحنا رايحين نقابل الناس بكره" .
كان الحوار يبدو هادئًا بين وائل ووالده لكنه كان مليئًا بغضب داخلي، على الجانب الآخر كان الحوار أكثر هدوءً بين مها ووالدتها بعد أن رحل خالد وهو يستشيط غضبًا .
"ما تخافيش يا حبيبتى هنلاقي سبب ونرفضه .
جلست مها على سريرها .
"أنا خايفه يا مامتي لبابا يحكم دماغه" .
"لا يا مها ما تخافيش ده كان زمان، بس لازم نقابل الناس عشان بابا إداهم كلمة" .
"ماما أنت عارفة . . ."
"خلاص قلت أنا هاتصرف" .
لا يستطيع وائل الرفض كان يحدث نفسه: "لا مش معقول بقى كده حرام، حتى الجواز هايتحكم فيه"، ورغم اعتارضه إلا أن اللقاء تم،
في تمام السادسة وصل وائل ووالده، وكانت مها لا تزال على سريرها، لم ترد سوى جينز وشعرها حجمته برباط شعر .
"بسم الله ما شاء الله" .
ابتسامة بلا روح كانت الرد على والد وائل .
"أهلًا يا عمو" .
نظر وائل إلى والده ومها:
"أهلًا وسهلًا" .
اعتدل والد وائل في جلسته وهو يربت على ظهر وائل .
"يعنى أنت عندك بنوتة زي القمر كده ومانعرفش؟"
ثم نظر لوائل .
"ربنا يجعلها من نصيبك" .
نظرت مها إلى والدتها بدهشة حين طلب منها والدها الجلوس مع وائل منفردين، فأشارت لها بالموافقة برأسها .

"ازيك يا مها عاملة ايه؟ تحبي تشربي حاجة؟"
واستمر مسلسل الابتسامات السخيفة من مها .
"لا أنا تمام، أنت شربت حاجة؟"
"والله بيتك ومطرحك اجيب لك ايه؟"
توجه وائل إلى السفرة ووضع كأسين من العصير، وعاد وهو يحملهما وهو يصطنع خجل البنات وهن يقدمن القهوة، ضحكت هذه المرة فهذا ما يجيده وائل، التفت الجميع لهم وكان أول رد فعل لوالد وائل .
" على بركة الله نقرأ الفاتحة بقى" .
لتتدخل الأم:
"لأ حضرتك لازم نستنى لما البنت تفكر وناخد رأيها" .
تغير والد مها كثيرًا، لم يقاطع زوجته، فبعد أن اكتشفت الأم زواجه بأخرى ووقفت مها بجانبها لحظة أن طلبت الانفصال، وكادا أن ينفصلا لولا أنه اكتشف كغيره من الرجال حقيقة ما كان يملكه بعد فقده، وظل عامًا كاملًا يحاول استعادة العلاقة حتى نجح ولكن الأم أصبحت أقوى الآن .
"خلاص هنتظر رأي بنتنا في وائل، وإن شاء الله خير" .
"كلك ذوق حضرتك وإن شاء الله نشوف رأي البنت ونتكلم" .
غادر وائل وترك والده متجهًا إلى القهوة محملًا بلا مبالاة ونشوة إضحاك إحداهن .
لم يتوقف شريف عن الكتابة، والصمت يخيم على المكان حوله، وتوالت الأحرف سريعًا عندما بدأ في الكتابة عن ياسمين .
توقفت ياسمين عن الضحك وأغلقت المكاملة سريعًا بمجرد أن فتحت باب الشقة، وهي تستمتع إلى صوت آهات مكتومة، توجهت مباشرة إلى غرفة أختها ولكن الغرفة كانت فارغة، والصوت يخرج من حجرة والدتها، نظرت خلسة داخل الغرفة وهي تضع يديها على فمها خشية أن يخرج منها صوت، كاد قلبها أن ينفجر من نبضاته المتلاحقة، وهي ترى رجلًا عاريًا لم تكن المرة الأولى التي ترى فيها رجلًا بهذه الصورة، ولكنها كانت المرة الأولى التي ترى فيها والدتها

عارية تمامًا، وكلماتها التي ظلت تلقنها لها طوال حياتها، "حافظي على نفسك"، توقفت أنفاسها وهي ترى أمها تتلوى تحت هذا الرجل، وهو لا يتوقف عن التهامها، لم يخرج منها صوت ولكن خرجت دموع من عينيها، امتزجت مع ضحكات أمها وصوت هذا الرجل: "أنا ماكنتش عارف إنك جامدة كده"، والأم ترد تحت تهديد جسده: "وأنا كان واحشني الاحساس ده قوي"، خرجت ياسمين من الشقة واتصلت بعماد .

"أنت فين؟"

"أنا في البيت" .

"في حد معاك؟"

"لا، أنا لوحدي" .

"طيب أنا جايه أبات عندك" .

****

تركت حبيبة الغرفة لدقائق وعادت في يديها بعض السندويتشات ولكن قبل أن تضعها أمامه .

"حلمي هو أنت مش قلت انهم مش أصحاب؟"

"اه" .

"طب أنت ليه بتستخدم نفس الأسماء، ليه ماتغيرهمش؟"

"عشان عمر الأسماء ما كانت مهمة" .

وضعت أمامه ساندوتش وكوبًا من العصير .

"أنا عرفاك يا حلمي وعارفة إني مش هاوصل لتفكيرك بس هاحاول" .

ابتسم حلمي .

"أنت دماغك أكبر مني بكثير" .

"طب سؤال كمان، هم كل واحد فيهم كان عنده نوع واحد من الحب؟"

"كل واحد فيهم مر بكل أنواع الحب، حب القلب ،والعقل، والروح إلا عماد وياسمين" .

"قصدك الاثنين اللي مش مضبوطين دول؟"

"اه" .

"ازاي بقى؟"

"النوع ده بيكون عايز يعيش الحب بكل أنواعه، رومانسي لدرجة إنه بيخاف حد يشوفه كده، عشان دي أضعف نقطة وشهواني لدرجة أن الشهوة بتتحكم فيه، هو أكيد مش مبرر لتصرفاتهم بس هم عايزين يحبوا بكل تفاصيلهم يحبوا بقلبهم وروحهم، بيحبوا بكيانهم بس تعرفي أن الجزء الوحيد اللي استخدموه قدام الناس في الحب كان عقلهم، عشان كده كل علاقاتهم اللي كانت في النور فشلت .

***

قارب العام الدراسي ٢٠٠٤\٢٠٠٥ على الانتهاء، وإن كانت لقاءاتهم قليلة ولكن مستمرة، حافظوا على صداقاتهم ولكن كان جميعهم في مرحلة التغيير، في نفس الغرفة التي التقين فيها لسنوات، كانت غادة تحاول تشغيل أسطوانة مدمجة كتب عليها أجمل أغاني التسعينات، قطعت محاولاتها ياسمين .

"سيبك من البتاع ده دلوقتي، الكحل الأسود ده حلو؟"

نظرت غادة إليها .

"ياسمين الاسود مبقاش موضة، الموضة دلوقتي الكحل الألوان والرموش كمان" .

التفتت غادة على صوت هبة التي أغلقت للتو مكالمة مع عماد .

"أش، أش، أش، وبنتكلم في الموضة كمان" .

أخرجت ياسمين لسانها لهبة وهي تقول:

"خليكي أنت متابعة عماد وسيبينا نتابع احنا الموضة" .

وقفت غادة بثقة لم تكن تعهدها من قبل في هذه الغرفة، وكادت أن تتحدث ولكن قاطعتها مها:

"حلاوتك يا غادة يا جامد، بس هو أنا مش متابعة الموضة، كده أنا ابقى ايه؟"

جلست ياسمين على قدم مها .

"تصدقي بلبسك ده تنفعي تبقي صاحبي" .

أزاحت مها قدمها فسقطت ياسمين على الأرض .

"ياله يا بت يا قليلة الأدب، صاحبك ولا صاحبتك" .
ضحكت هبة بصوت مرتفع .
"ايه يا ياسمين أنت بقى ليكي في كله؟"
نظرت إليهم ياسمين .
"الله يخرب بيتكم، بت يا غادة احط الروج الأحمر" .
"بقولك ايه، اقعدي أنا هاعمل لك المكياج اقعدي" .
كانت هبة تنظر باستغراب إلى التغيير الذي طرأ على غادة، ومها تمارس عادتها في تحويل كل شيء إلى سخرية وهي تقول:
"الله عليكي يا غادة يا كايداهم" .
رحلت مها وهبة وبقيت غادة وهي تضع المكياج على وجه ياسمين، باتت العلاقة بينهما أقرب، اهتمامات غادة وياسمين أصبحت متشابهة، انتهت غادة وجلست على السرير .
"بقولك ايه يا ياسمين ما تشغلي اي حاجة" .
"مالك مش عجباني" .
"مافيش" .
"انجزي، بلاش تحوير" .
"شريف" .
"الواد اللي لازق لك ده؟"
"مش لازق، احنا أصحاب جدًا" .
جلست ياسمين جانبها .
"طيب ماله صاحبك جدًا ده؟"
"قال لي إنه بيحبني" .
"يا فرج الله، أخيرًا" .
"قصدك ايه؟"
توجهت ياسمين أمام المرآة وهي تحاول شد حامل صدرها على أضيق وضع له .
"أنت يا بت مش عايزة حد يحبك وتحبيه" .

"ما هو أنا . . . بحب حد تاني" .
"عملتي ايه مع الحد التاني ولا حاجة، صح؟"
"صح" .
"يبقى جربي" .
"لا ما هو أنا قلت له إني مش بحبه" .
"أنت هبلة، ما تجربي، حب ايه!"
ضمت قدمها إلى صدرها واحتضنتها .
"مش بحبه يا ياسمين، شريف زي أخويا عمري ما تخيلت نفسي وهو ماسك ايديا أو حاطة راسي على كتفه، لا، لا، مش بحبه" .
"يا عبيطة جربي" .
"هاخسر الحلم اللي طول عمري حلمت بيه" .
"هتعيشي وتموتي هبلة" .
"شريف محترم وجدع" .
نظرت ياسمين إلى غادة وهي تحدث نفسها: "أنا طول عمري نفسي اصاحب حد محترم، ولما حبيت واحد مش عايز يعبرني"، قطعت غادة تفكيرها .
"روحتي فين؟"
"لا مافيش، أنت وراكي حاجة" .
"لا، أنا كنت بجرب بس الميكب اب الجديد" .
"طيب هبات معاكي" .
"باتي" .
رفعت غادة سماعة التليفون لتخبر والدتها أنها ستقضي ليلتها مع ياسمين .

***

وقف شريف منتظرًا بقيتهم قبل صلاة الجمعة، اعتادوا اللقاء في هذا التوقيت حرصًا منهم على إبقاء علاقتهم مستمرة، كان أول من وصل خالد أشعل سيجارة ونظر إلى شريف .
"ايه اللي في ايدك ده؟"

ابتسم شريف ابتسامة ثقة .
"أنا جبت هارد جديد" .
"حطيت عليه حاجة؟"
"حطيت طبعًا، بس مش عايز يتملي دول ٢٠ جيجا" .
"يا ابن اللعيبة، في أفلام؟"
"لسه جايب شوية امبارح" .
وصل وائل على حديث الأفلام .
"لا ماتقولش إنك جبت أفلام جديدة" .
احتضن شريف الهارد .
"اه، فيه فيلم بتاع الممرضات اللي أنت كنت هتموت عليه" .
"حلاوتك يا شريف يا مظبطنا" .
حاول وائل أن يطبع قبلة على وجه شريف في لحظة وصول عماد .
"في ايه مالكم؟"
نظر وائل إليه .
"لا مالكش دعوة أنت بتطبق عملي" .
ابتسم عماد ابتسامة لم يعلم وقتها هل كانت غرور أم ثقة أو ربما ندم، قاطعهم خالد:
"يلا نصلي ونروح على القهوة" .
ما أن انتهت الصلاة إلا واتجه شريف إلى خالد ليسيرا بعيدًا عن وائل وعماد .
"عامل ايه مع مها؟"
"كويس" .
"قلت لحد ولا لسه؟"
"رافضة أي حد يعرف أنا مش عارف ليه! أنا بفكر اروح اقول لعمي واخلص الموضوع بقى" .
"يمكن عايزة تستنى لما تخلص الكلية" .
"مش عارف لها حاجة، أنت ايه اخبار البت اللي بتحبها دي؟"

"لا خلاص فكك" .
"ازاي يعني؟"
"يا عم فكك أنا مش بتاع الكلام ده" .
على الجانب الآخر كان عماد يتحدث مع وائل:
"أنت يا وائل مش هتصاحب، ياد ده أنت خرجت معايا مليون مرة ومافيش مرة شبكت" .
"أنا ماينفعش اصاحب يا عماد" .
"ليه إن شاء الله!"
"عشان هابقى زي زيها" .
"أنت مخبي علينا حاجة ولا ايه؟"
قالها وهو يشير بأحد أصابعه، قاطعه وائل بسباب:
"لا يا اهبل، قصدي إن ابويا قرفني في موضوع المواعيد، تخيل بقى هي تكون بتعرف تخرج أو تطلب مني نخرج، واقولها اصل ابويا محرج عليه، فبلاش قلة قيمة لحد ما أشوف للرجل ده حل" .
"والله أنت اللي عامل في نفسك كده، هي مرة واحدة اعمل فيها اللي أنت عايزه وواجهه ونخلص" .
"بخاف يا عماد، بخاف ومش عارف ايه السبب!"
"ايه هيموتك يعني؟"
"لا مش الفكرة، هو عمره ما ضربني بس مش عارف ليه الخوف ده، كان نفسي اكون باسمع كلامه عشان بحبه مثلا أو احترام أو حتى عشان ابويا، بس كل ده بخ مش موجود، ماعنديش احساس قصاده غير الخوف" .
"ياد أنت هتتخرج خلاص ولسه بتخاف؟!"
"ماعرفش بقى" .
كان مقهى الصعيدي على بعد دقائق ما أن وصلوا حتى نادى عماد على سي:
"يا سيد هات حتة امسح الطرابيزة، وهات دستة "كوتشينة" وورقة وقلم" .

***

(العقل - حلمي وحبيبة)

حلمي هو جزء من روايتهم هو صديقهم جميعًا، الصديق الذي فُقد في شركاء حياتهم هو حلم السعادة، هو لحظة المتعة وونحن نزيح همومهمنا عن كواهلنا، هو الصديق الذي ربما نصحنا بنصيحة غيرت مسار حياتنا، أنا حلمي ولكن لم يكن حلمي يومًا أنا .

تزوج حلمي من حبيبة بعقله في لقاء عائلي وتعارف أشبه للصورة المعتادة من جواز الصالونات، لم تلفت حبيبة نظر حلمي ولا العكس لم تشعر حبيبة وقتها أنه من الممكن أن يشاركها العمر، ولكن كانت المعادلة حسابية بين الأسرتين، ولم تتطور العلاقة بينهما ما قبل الزواج، حتى أن المرة الأولى التي يداعب فيها حبيبة كانت بعد زفافهم، كانت زيجة تقليدية مرت أيامها الأولى بدفعة من متعة الاكتشاف وبدا أنهما في حالة حب، ومع الوقت انتهت المتع حتى متعة الاختلاف فُقدت، أصبحا اثنين لا يجمعهما سوى سرير في لحظات التنفيس عن رغبات مكبوتة، مرات ليفرغ شهوته وأخرى لتشعر أنها لا زالت أنثى، انفصل عالم كل منهما عن الآخر، هو يقارن جميع نساء الأرض بها وهي تشك أنه يحب أخرى، ظل يقارنها بأخريات وظلت تندم على الزواج منه .

بعد سنوات ليست كثيرة من زواجهما دار هذا الحوار قبل نومهما، حاول حلمي مداعبة حبيبة قبل النوم ولكنها دون سابق إنذار أزاحت يده وأنارت الغرفة ونظرت إلى حلمي .

"أنا عايز أقول لك حاجة" .

"خير" .

"ماتيجي نطلق وكفاية كدب؟"

"نطلق، أنت عمرك ماجبتي سيرة الطلاق، وجاية تطلبي الطلاق دلوقتي ازاي يعني؟"

"عشان أنت هتطلقني" .

"لا طبعًا!! مافيش بينا أي مشاكل" .

"بلاش نكدب على نفسنا" .

"نكدب في ايه بس؟!"
"حلمي أنا وأنت أتجوزنا بمعادلة حسابية واحنا عارفين ده، حسبناها كويس بس تعرف بعد سنين جوازنا دي اكتشفت أن الجواز مالوش حسبة، مالوش أرقام ثابتة نحطها على ورق عشان نضمن إننا نكون مبسوطين، أنت مش مبسوط معايا" .
"ماتقوليش حاجة على لساني" .
"لا أنت مش مبسوط، عشان أنا بشوف حزنك مع كل واحدة بتبص عليها" .
"تاني موضوع الخيانة وإني اعرف بنات؟"
"ممكن الخيانة تكون بالعقل، واحنا اتجوزنا بعقلنا مش بقلبنا، فامينفعش اعيش معاك والحاجة الوحيدة اللي بيننا مش موجودة" .
"هو أنت جايبة الكلام ده منين؟"
"تاني، اقول تاني، الحسبة طلعت غلط، وأنا بشوف حزنك في كل واحدة بتشوفها، وبشوف حزنك ولمعة عينيك وأنت قاعد لوحدك، يمكن أكون غلط بس ده اللي أنا حساه" .
ترك حلمي الغرفة غاضبًا وهو يردد:
"أنا مش عارف هاخلص من الجنان ده أمتى؟ مش عارف ارضيكي ازاي؟"
وقفت حبيبة على باب الغرفة .
"اللي بيحب حد بيعرف يرضيه ازاي، أنا قدام اختيار من اتنين نكمل عشان شوية حاجات أو نسيب بعض ونكمل بعاد عن بعض ويبقى لينا حياة" .
الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحًا، تأقلمت ساعتي البيولوجية على الاستيقاظ في هذا التوقيت أيما وقت نمت فيه، أفتح عيني ثم أتجرد من كامل ملابسي، عادة اعتدت عليها منذ أن رحل الجميع عني، أشعل سيجارة وأتصفح الجروبات الذكورية على هاتفي المحمول، إلى أن وصلت لمرحلة أن صارت الصور الجنسية لا تؤثر في، وما أن أنهي سيجارتي إلا وأتجه إلى المرحاض أحاول أن أزيح هموم سمين قد التهمته يوم أمس، أجلس على المرحاض وأتابع نملتين فوق السيراميك يتحركان في نصف دائرة بدا أنهما تائهتان، نظرت إليهما طوال فترة عملية لفظ

بقايا السمين، ثم تخيلت للحظة أني مكان إحدى هاتين النملتين، وهناك من يجلس على مرحاض وينظر إلي وهو يخرج أسوأ ما فيه، أبعد تلك الأفكار سريعًا ثم أدهس النملتين عسى أن يسحقني من يتابعني بقدمه، أضحك في بلاهة ثم أفتح الدش على أشد درجاته وأقف تحته دون حراك لربع ساعة كاملة وأنا أدندن "فات الميعاد"، أخرج وعلى كتفي فوطة، في اللحظة التي اقتحمت خلوتي مها، تلك المرأة الأربعينية التي اعتادت أن تشاهد هذا المشهد كثيرًا، نظرت إليها بابتسامة كشفت عن صفار أسناني، ثم أشرت إلى السرير وأنا أرقص: "مش يلا بينا"، نظرت إلي وهي تضحك ضحكة ألهبت حماسة خاملة لا تبقى سوى للحظات، نظرت إلي وقالت: "أنت فيك نفس يا منيل"، مرت دقائق اجتماعنا سريعة وقفت بعدها تحت الدش من جديد وأنا أدندن نفس الأغنية وعدت بعدها إلى وميض المؤشر وعاد حلمي إلى قلمه وظلت مها تراقبني لساعات أخرى .

٧
تفاصيل
"بعيش"
تامر حسني
ألبوم عينيا بتحبك - ٢٠٠٦

النسيان هو أقصى مراحل الألم .

بعد انتهاء المرحلة الجامعية،
الساعة الواحدة صباحًا، رن هاتف شريف المحمول .
"الو مين؟"
"عايز اشوفك دلوقتي" .
"في ايه يا خالد مالك؟"
"هاعدي عليك نلف بالعربية شوية" .
"يا ابن الجزمة الساعة ١ " .
"هتنزل ولا لا؟"
"هاقوم البس، أنت فين؟"
"أنا تحت البيت مستنيك" .
مرت عشر دقائق كانت كافية أن تثير أعصاب خالد .
"ايه يا شريف كل ده؟ بقولك عايز أتكلم" .
غضب لم يعهده من خالد .
"في ايه يا عم أنت! هم عشر دقائق" .
نظر شريف لخالد في مدة زمنية أقل من الثانية أدرك أن هناك كارثة .
"مالك؟"
"أنا هاسيب مها" .
"أنت أهبل ولا مجنون ولا شارب الخرى اللي بتشربوه ده؟"
"مش بهرج، أنا هاسيب مها" .
"أزاي؟"
"هاسيبها، يعني هاسيبها" .
"وهي عرفت؟"
"لا" .

نظر شريف من شباك السيارة،
"طيب مدام بتعيط كده يبقى بلاش جنان" .
"بحبها بجنون يا شريف بس مش متخيلها تكون مراتي" .
"لا جنان مش عايز، أنت مش كنت بتقولي إنك بتعمل المستحيل عشان تتجوزها" .
"اه" .
"ايه اللي حصل؟"
"لقيتها مش مناسبة" .
"يا سلام فجأة كده لقيتها مش مناسبة، بعد اكتر من عشر سنين حسيت إنها مش مناسبة؟"
"مش هتفهم" .
"ليه شايفني غبي، أنت لقيت شغلانة كويسة ومستويات أعلى طبعًا، وسوق بالراحة هتموتنا" .
"شششششش، بلاش عبط هو ايه اللي مستويات؟!"
"امال ايه؟"
"قابلت واحدة تانية" .
وضع شريف يده على جبهته .
"قول كده" .
"واحدة معايا في الشغل فيها كل حاجة حلمت بيها في بنت" .
"كل حاجة حلمت بيها في بنت!! ومها كانت ايه؟"
فرمل خالد بقوة ونظر بغضب إلى شريف،
"مها ماحلمتش بيها، مها كبرت جوه قلبي، مها ماخترتهاش اللي اختارها قلبي وأنا كنت صغير، مها كبرت جواه كبرت كثير وعارف إني هتوجع" .
ارتفع صوت شريف أكثر،
"أنت بتقتل نفسك يا خالد فوق، دي مش حاجة لازم تكسبها، مش لازم تبقى على الشعرة زي كل حاجة تانية" .

"أنا هاسيب مها وهاتجوز ياسمين يا شريف ده قرار" .
"ياسمين!! مش عارف ليه حتى الاسم مش لايق عليك يا اخي" .
"شريف أنا رايح بكره أتقدم" .
"ده أنت واخد القرار طب بتكلمني ليه؟"
أشعل شريف سيجارة بينما أخذ خالد سيجارة وداعبها بين أصابعه منذ فترة كان قد أقلع عن التدخين بسبب مها ولكنه وضعها في فمه .
"تعرف يا خالد لما حبيت غادة، البنت اللي رفضتني دي، كنت مستعد أعمل المستحيل عشان توافق، كنت مستعد إني اتذل قدمها"، أخذ نفس من السيجارة وأكمل: "هو أنا فعلًا اتذليت وكنت مستعد لأي نوع من أنواع التضحية عشان ترضى، ولما رفضت تعبت وتعبت جامد قوي، بس عشان ماكانش بيننا حب يوم بعد يوم عرفت اعيش، بس في حالتك دي بقى أنت هتموت، عشان مها كبرت جوه قلبك والحل الوحيد أن قلبك يفضل عايش هو إنك تفضل مع مها" .
"أنا اخدت القرار وسيبك من الروايات اللي أنت عايش فيها" .
"ما أنا عارف إنك اخدت القرار، بس أنا بقول لك عشان في يوم هافكرك ولو تحب اكلم مها" .
"لا، هي هاتعرف لوحدها" .

***

"لو كان خالد و مها اتجوزا تفتكر كانوا هايعيشوا مبسوطين؟"
"مافيش قاعدة ثابتة، بس على الأقل كان زمان قلبهم لسه عايش" .
"تفتكر؟!"

***

نامت ياسمين على الشيزلونج ولكن حلمي لم يهتم بهذه المنحنيات التي ظهرت،
"ياسمين أنا عايز اشوفِك مبسوطة" .
"صعب يا حلمي تشوفني مبسوطة عشان الذكريات بتوجع" .
"أنت ممكن تنسي الذكريات بس بشوية خطوات صعبة" .
"مش هاقدر" .

نظر حلمي إلى الحائط في اتجاه إحدى شهاداته .
"ابدئي أنت بس" .
"حلمي، الذكريات بتوجع وبتسيب جوانا علامات مابتتنسيش" .
"لو عشتِ الحاضر هتنسي الماضي" .
"ولو عشنا ألف حاضر مش هننسى، الألم اللي جونا سببه إننا بنحاول ننسى ومش هيحصل، مش هانسى" .
وميض المؤشر على شاشة الحاسب الآلي يتوحد مع دقات قلبها وجفني عينيها ونقر أصابعها على الطاولة، ياسمين لا تعلم كيف تحولت إلى هذا الكائن الأناني، أخذت نفس من سيجارتها ثم استمرت في الكتابة .
جلس شريف يتابع تدفق زملائنا في العمل منتظرًا قدومي، لم يستطع رؤيتي طوال أسبوعين، الفترة التي قضتيها مع أمي في المستشفى، تحملت مسؤوليتها بعد زواج أختي وغفرت لها المشهد الذي علق بذهني لسنوات وهي بين أحضان رجل غريب، وزرعت مبررات واهية داخل عقلي لتقبل فعلتها، حتى وصلت إلى قناعة أنها لم تكن مخطئة، تركها أبي وهي أنثى وكانت أنوثتها تصرخ كل ليلة منفردة، أنا لا أمتلك الحكم على أحد ولا حتى على أمي، في تلك الفترة فقدت اهتمامي بنفسي وازداد وزني بشكل ملحوظ، ومع غياب هذا الأب والذي تتلخص علاقته بي باسم مكتوب بعد اسمي في البطاقة، تحملت وحدي الحفاظ على مستوى أسرتي المادي، والذي حافظت عليه أمي لسنوات، ولكن مرضها منعها من الاستمرار فكان على أن أحمل هذه الراية .
في أول حياتي المهنية كنت ما أزال أتمتع بإغراء حافظت عليه سنوات عمري، وعليّ أن أعترف أنني استخدمته لأصل إلى ما أريد، هذا السلاح الذي نجح لسنوات، أصبح لي راتب كبير ليس لكفاءتي الوظيفية فحسب، ولكن أيضًا لكفاءتي كأنثى أعلم نقاط ضعف الرجال، ومع مرور الوقت أصبحت ما كنت عليه في تلك الفترة وفقدت جسدي وأصبحت بدينة، شريف كان الوحيد الذي استطاع أن يرى ملامح شخصية واريتها لسنوات خلف جسد أنثوي صارخ، لم يهتم بالوزن أو يعقب على شكلي، كان اهتمامه مُنصبًا على شخصي وشخصي فقط، والحقيقة

مع افتقادي للمشاعر وافتقادي للنظرة التي لم أعد أراها في أعين الرجال؛ لم أنظر إلى الفوارق المادية أو الفكرية بيننا، ولكن كان هناك إصرار من جانبي أن تبقى العلاقة في الخفاء دون تحديد موعد للإعلان عنها، حاول شريف كثيرًا أن يخفي مشاعره أمام زملائنا، كان ينجح أحيانًا ويفشل كثيرًا ولكن بمجرد أن وصلت توجه إلي، ولكن سبقه عماد صديقي القديم وإن تخطينا حدود الصداقة أحيانًا عندما كنت في كامل لياقتي، نظرت إليه مشيرة أن ينتظر حتى لا تُفضح مشاعره أمامه، لم يكن عماد وشريف سوى زملين يجمعهما نفس المبنى، رحل عماد بعد نصف ساعة كاملة .

"ايه هو كان بيعمل ايه كل ده؟؟"

"قصدك عماد !! احنا اصحاب من زمان ما أنت عارف، في ايه؟!"

"مافيش بس عايز اكلمك، وحشتيني دول أسبوعين" .

"معلش والله غصب عني" .

"طنط اخبارها ايه؟"

"تعبانة" .

"طيب ممكن اجي ازورها النهارده؟"

"تنور أي وقت، بس ماتفتحش أي مواضيع" .

"و ده ظرف حد يتكلم فيه ماينفعش" .

شريف يجعلني ابتسم وأتحول معه إلى شخصية لا أعرفها وإن كنت أستمتع بها، رغم اختلاف فترة مراهقتنا، واختلاف طباعنا لكن شريف بفطرته استطاع أن يأخذني إلى موضع لم أعتد عليه، أشعر فيه أن لي روح وجمال داخلي أو بالأصح أشعر أنني شخصية محترمة، دائمًا ما كان شريف جانبي رهن إشارتي يلبي قبل أن أتمنى، علي أن أعترف أنني أحببته، ولكن ذلك لم يكن يكفيني، أنا لم أعتد على المشاعر فقط، أنا امرأة كاملة وهو بعيد كل البعد عن كمالي، ولكني حاولت أن أعطيه ما أستطيع .

"شريف أنا هاقدم في شركة جديدة" .

"ليه يا بنتي؟"

وهابعته" . CV "وهقدم لك معايا، أنا معايا ال
"كمان؟!"
لم يكن متحمسًا للفكرة وكان واضحًا جدًا أثناء المقابلة عدم اهتمامه وتم رفضه وقبولي، كانت لحظة فارقة في حياتي أنا، وخالد، ومها، وشريف .

***

كانت اللحظة التي قرر فيها خالد أن أولويته في الحب نابعة من عقله، وأن عليه التنازل عن حب قلبه، وكانت تلك اللحظة هي لحظة تنازله عن الحياة مقابل المادة .
"حلمي هو ياسمين وخالد اتجوزوا؟"
"للأسف" .
"ازاي! ده بيحب مها، أنا حسيت بالحب ده لما راح لها أول مرة عند المدرسة واعترف بحبه" .
"ما هو حب القلب مش كل حاجة" .
"طب، هو شريف وخالد مش أصحاب . ازاي شريف بيحب ياسمين وخالد اتجوزها؟"
"انسي الأسامي، انسيها" .
"طيب" .
"خالد وياسمين هم جزء العقل في دفتر الملاحظات ده، الاثنين اتجوزا بعقلهم وكانوا عايزين جوازهم ينجح بقلبهم" .

***

أشعلت ياسمين سيجارة واستمرت في الكتابة،
لم تسمع مها عنه منذ أكثر من شهر، هي المرة الأولى التي يغيب فيها كل تلك الفترة، حتى أن آخر لقاء عائلي لم يتواجد فيه، بدأ القلق يقترب من تلك المنطقة بين الثقة والشك، ولكن ظل قلبها يؤكد استحالة ما يدور في عقلها، إلى أن كانت المكالمة التي فقدت بعدها مشاعرها .
"ألف ألف مبروك يا أبو خالد، الواد خالد راجل ويستاهل كل خير" .

تابعت المكالمة بكامل حواسها وهي تحاول أن تحللها، هل وفق في الحصول على تأشيرة للولايات المتحدة! هل خاف أن يخبرني لأنه يعلم برفضي للفكرة! هل قدم دون علمي! ألف سؤال بدأ يتسرب ولاحظت والدتها كم الذهول في عينيها حين قررت أن تقطع هذا الشك باليقين .

"خير ماله خالد؟"

"الواد خالد خطب" .

صمتت الأم للحظات ثم رددت:

"خالد هيتجوز! هو خالد هيتجوز؟"

نظرت مها إلى والدها وحاولت رسم ابتسامة وهي تخفي دموعها وتحاول أن تسيطر على قشعريرة تسري في جسدها .

"بجد يا بابا هو خالد هيتجوز؟"

نظر الأب إلى وجهها وهو يحاول أن يفهم هذا التعبير .

"اه، عمك لسه قايل لي أن فرحه كمان شهر، هم لبسوا الدبل من أسبوع" .

بصوت مخنوق وهي تضغط على شفتيها وتحاول احتضان نفسها بيديها .

"من أسبوع، مبروك" .

توجهت مها إلى غرفتها، لم تستطع الأم النظر إلى عينيها، حاولت فقط احتضانها، حاولت أن تعطيها دفء مشاعر، بعد أن بات جسدها ينتفض من برودة الموقف، تمنت أن تراها تبكي أو تصرخ، أغلقت الباب ولكنها كتمت مشاعرها وتحولت ملامحها إلى ملامح أقرب للتماثيل النحاسية، مها لم يهتز لجفنها رمش، رفضت أن تبقى بين أحضان أمها حين توجهت إلى باب المنزل .

"رايحة فين يا بنتي؟"

فتحت الباب ودون رد تركت المنزل، شعرت باحتياجها للهواء، للحظات ظنت أن حضن والدتها يخنقها أو يبقيها مغلولة، بقيت لساعات تتجول بين الطرقات وسؤال وحيد يتردد داخلها: "ليه يا خالد ليه؟ أنا عملت فيك ايه؟، ده أنا كسرت كل قواعدي عشانك، أنا رفضت الارتباط عشان ما اتكسرش، ليه يا خالد؟ أنا ماعملتش فيك حاجة وحشة ليه؟ ليه يا خالد؟ امتي يا خالد عرفتها؟ عرفتها

وأنت معايا ليه؟!" لم يرد عليها سوى صوتها: "أنت اللي عملتي كده في نفسك لما وافقتي"، وبدأ حوار بينها وبين نفسها .
"أنا بفكر اكلمه" .
"لا طبعًا، هتكلميه ليه إن شاء الله الكلب ده؟"
"بس هو مش كلب وأنا بحبه والله بحبه" .
"ده راح خطب، ده باعك" .
"عايزة أعرف أنا غلطت في ايه!"
"بتلومي نفسك ازاي يا مجنونة أنت؟ ده أنت كنت قايد له صوابعك شمع، ده كلب وستين كلب كمان" .
"لا، اكيد كان في حاجة غلط" .
"بطلي تلومي نفسك، بطلي" .
"أنا مصدومة والله، مصدومة هو عمل كده ليه! ده حتى ماقليش نسيب بعض، ايه احساس العجز اللي أنا فيه ده؟ ليه مغلولة كده؟ طب اروح له؟ اشتمه؟ اضربه أو اتف في خلقته؟"
"بطلي اجمدي بقى، ده مش راجل ولو راجل بجد كان على الاقل قال لك نسيب بعض، مش راجل، فاهمة، مش راجل" .
ظلت تحدث نفسها لساعات ولم تجد سبب وحيد لفعلته، ظلت في صراع نفسي حتى كان فرح خالد، واستمر الصراع في الحضور من عدمه إلى أن جمعتهم عيناهم بعد انقطاع طويل، اندهشت مها من هذا الفرح الصاخب، لا يحب خالد هذه النوعية من الأفراح، اختفى اندهاشها وتوقف الصراع النفسي حين التقطت يدها وهي تسترد روحها من يده هذه المرة، وبابتسامة قوة أتت من ضعفها، مالت عليه حتى ظن البعض أنها تقبله
"مش هسأل عملت كده ليه، بس أنا هنساك وأنت مش هتعرف تنساني، والله العظيم مش هتنساني" .
لم يرد خالد إلا بابتسامة محاولًا إخفاء حسرة مكبوتة، في دمعة رفض أن يطلق لها العنان، مالت مها على ياسمين لتقبلها .

"خلي بالِك من خالد، ده اجدع واحد في العائلة كلها" .
تابع شريف المشهد وهو لا يدري ماذا يفعل إلا أنه توجه لمها .
"مها، أنا شريف فاكراني؟"
"اه، ازيك؟"
"أنا آسف إني ماقدرتش اغير قراره" .
"كويس إنك ماقدرتش" .
فقدت مها اتزانها مع توالي الأحداث، لم تواجه هذا الكم من الفشل طوال حياتها ولم تكن ضعيفة، كان أقصى مراحل ألمها وهي تحاول أن تنسى خالد، لكن رغم شخصيتها المتفردة إلا أنها فقدت السيطرة على مشاعرها، ومع كل يوم مر كان يزداد انهيارها، ولم يكن هناك بديل إلا الموافقة على وائل .
"يا بنتي بلاش تغلطي" .
"يا مامتي مش فارقة وأنا تعبانة قوي وعايزة اخرج من اللي أنا فيه" .
"ماينفعش تخرجي بعلاقة ثانية" .
"وائل شكلة كويس ودمه خفيف، ده مستني ردي من فترة وأنا محتاجه حد زي كده يمكن اخرج يمكن انسى، أنا مش متخيلة يا ماما إنه مع واحدة ثانية دلوقتي والله مش مصدقة والله" .
لم يكن هناك أحد يعلم بتلك العلاقة سوى مها وخالد ووالدتها، كانت مها تحتاج شخص تبكي له ولكن لسوء حظها إنه لم يكن هناك أحد تشتكي إليه .
أرسل والد مها بالموافقة لوالد وائل، وكانت الخطبة في المنزل، كانت ملامحها تكتسي بانكسار حزين، تتابع الأحداث أرهقها فاشترطت أن الحضور يقتصر فقط على الأسرتين ودون الأصدقاء، اندهشت مها كثيرًا وهي ترى وائل صامت وبلا رأي في لحظات الاتفاق ما قبل الفاتحة، لم يبد أي تعليق على والده، كانت مها تناقش والده بنفسها في الوقت الذى كان يجلس كضيف، وحين انتهت الخطبة أخبرت والدها عن ضعف شخصيته، حاولت أن تخرج من العلاقة ولكن انكسارها كان أقوى فاستسلمت لرد والدها .
"لا يا بنتي شخصيته مش ضعيفة، ما شاء الله الولد بيكبر باباه ولد متربي" .

كشفت الأيام غير ذلك في اللحظة التي طلب منها والد وائل أن يجلسا بمفردهما
"هو أنت ليه مش بتقعدي مع وائل لوحدكم؟ ده أنتم بحكم المتجوزين يا بنتي" .
"أنا آسفة يا عمو، بس ايه دخل حضرتك؟ وائل ماطلبش ده مني" .
"أنت إزاي تكلميني كده؟"
"اللي هو ازاي يعني كده؟ هو وائل ماعندوش لسان يطلب؟ وائل المفروض جوزي هو اللي يطلب" .
تابعت والدتها المكالمة .
"أنت بتكلمي حماكي كده ليه؟"
"مش هيبقى، ماتخافيش" .
"نعم، أنت قصدك ايه؟"
"مش هكمل مع وائل ده" .
"يا بنتي أنت مكتوب كتابك" .
"مش فارقة، مافيش حاجة فارقة يا ماما" .
صُدمت الأم بعد أن فقدت مها حياتها، وصُدمت مها من هذا التدخل، حاولت الاتصال بوائل كثيرًا لتنهي العلاقة، إلى أن رد والده عليها:
"أنتم بتتصلوا بوائل كثير ليه؟"
كان هذا السؤال ما طرحه والده على مها، ضعف وائل جعله يهرب من المواجهة ولكن كان لا بد للزيجة أن تنتهي، لم يفعل شيء سوى أنه وكّل والده لتطليقها ولم يؤثر فيه إلا اتصال من مها .
"وائل ازيك؟"
"ازيك يا مها؟"
"مستغرب إني بكلمك؟"
"أنا مابقتش استغرب اي حاجة في حياتي" .
" أنا عايز اقولك حاجة واحدة بس، الحمد لله إن احنا اطلقنا، عشان الراجل اللي مايعرفش يطلق لوحده، اكيد ماكانش هايعرف يتجوز لوحده" .

"عندك حق، يمكن في يوم اقدر اعتذر لك" .
"مش عايزة اعتذار، أنا بس حبيت افهمك" .
"يمكن في يوم أقدر أفهمك بس والله أنا مش وحش، بس أنا لا كان لي رأي في الجواز ولا في الطلاق" .
توقفت ياسمين قليلًا عن الكتابة، ولم تتوقف دموعها حين أدركت أنها كانت سببا في كثير من الآلام، لم تتوقف عن التهام سجائرها وهي تعاود الكتابة .
لم تكن هبة ترى سوى عماد في حياتها، هبة كان لها تأثير كبير عليه، عماد كان قبلها شخصًا وبعدها شخص آخر، كانت تمتلكه وكان شابًا وسيمًا، كانت محظوظة به وكان محظوظ بعلاقتهما، تغير كل شيء حين رأتني معه، وكأنثى تتبعت كل خيط حتى رأت ما غضت بصرها عنه، رسائل وبريد إلكتروني بيني أنا وعماد، هذا ما جعلها تواجهه بالحقيقة .
"عماد مين ياسمين؟"
"ياسمين مين؟"
"أرجوك يا عماد رد علي، مين ياسمين؟"
"مالك يا هبة في ايه؟"
حاولت جاهدَة ألا تبكي وهي تفرك يديها بقوة .
"مين ياسمين يا عماد؟"
"هبة، في ايه يا حبيبتي؟"
"ياسمين دي صاحبتك القديمة؟"
" . . . . " .
"بتكلمها من امتى؟"
توتر عماد ربما للمرة الأولى في حياته .
" . . . . " .
"رد علي" .
"دي اشتغلت معايا في الشركة بالصدفة" .
"وبالنسبة للإيميلات اللي أنا قريتها دي ايه؟"

"إيميلات ايه؟"
أخرجت من حقيبتها ورق مصور .
"دي، عماد أنا فتحت الإيميل بتاعك، عرفت كلمة السر بسهولة قوي، وقرأت كل الرسائل بينكم وفيها رسائل حب ورسايل قلة أدب، وفيهم إيميل يا عماد بتقولها مش مهم هبة دلوقتي، أنا مش مهم أنا يا عماد؟ جالك قلب تقول أنا مش مهم؟"
"يا هبة، أنا غلطت" .
"تعرف المشكلة في ايه؟"
"مين قال أن في مشكلة؟"
"ممكن تسمعني من غير مقاطعة لو سمحت؟"
"ايه الرسمية دي؟"
"قلت لك اسكت واسمع" .
"حاضر" .
لم تتمالك نفسها أكثر من هذا وتركت لدموعها المجال لترسم أكثر مشهد حزين مر على عماد، وعلى هذا الكافيه الذي جمعهم لسنوات .
"المشكلة بيننا إنك راسم لنفسك حلم معايا، حلم بس إنما أنا رسمت معاك حياة، رسمت حياتي معاك دلوقتي وقبل كده وبعد ٢٠ سنة ولحد أخر يوم في عمري، رسمت صورتي معاك وأنا كبيرة وعجوزة وحلفت إني هاخليك دائمًا مبسوط، كنت أبص على اي اثنين متجوزين واقسم بيني وبين نفسي أن حياتي هتكون اسعد منهم كلهم، أنا عارفاك كويس أنا عشت مع حبك من ساعة لما كنت في المدرسة، كبرت معاك وأنت كبرت جوايا وحبيت كل حاجة فيك، الوحش فيك قبل الحلو، أنا أول مرة افكر كده بس أنا كبرت يا حبيبي، واسمح لى أقولك يا حبيبي لاخر مرة" .
حاول عماد أن يمسك يديها ولكنها سحبتها سريعًا .
"طب مدام بتحبيني، ارجوكي سامحيني، غلطة" .
"للأسف المرة دي مختلفة، المرة دي أنت مشاعرك راحت لواحدة ثانية، أو

عشان اكون صريحة مع نفسي أنت حبيت واحدة معايا، يمكن أنت كراجل تقدر تعمل ده بس أنت كنت مختلف، أنا كنت مؤمنة بيك قوي، أنا أول مرة في حياتي من يوم ماعرفتك احس إني روحي مش معايا، احس إني مخنوقة ومخنوقة قوي كمان" .

"ممكن طلب" .

"للاسف لا عشان أنا اضعف من إني أرفض لك طلب، أنا لسه ضعيفة بحبك ومش متخيلة حياتي من غيرك، لأنك ببساطة كنت حياتي" .

"أنا عمري ما هاختار حد ولا . .، بطلي عياط" .

شاركها عماد دموعها .

"اسكت وسيبني اتكلم معاك للمرة الأخيرة، سيبني أقول لك اللي أنت ماعرفتوش طول السنين الكثير اللي فاتت، ايوه أنا بحبك وايوه استنيت اليوم اللي تبوسني فيه، كان نفسي ابوسك وأنا عارفة إنك بتبوس غيري، وكان نفسي اكون في حضنك، كنت بامنع نفسي عنك كل يوم، عشان مستنيه استمتع بحضنك في الوقت اللي احس فيه بحبك بس واضح انها هتفضل أمنية، أنت النهارده بقيت حلم الطفولة وهاحاول ارسم حياتي من جديد، هاحاول" .

"هبة أنا، ماينفعش، ماينفعش تسيبيني، هبة أنت أنت، أنا مش عارف اقولك ايه!"

"عماد ممكن ماتعيطش، عشان خاطري" .

"طيب مش هاعمل كده تاني والله العظيم، بس بلاش يا حبيبتي بلاش" .

"تفتكر أن دي أول مرة اعرف حاجة واسامحك بعدها، لا يا عماد كان فيه بس دي كانت الأخيرة، لازم يبقى فيه محطة أخيرة نقف فيها، أو مرحلة نعديها، كنت مستنيه اننا نتجوز عشان نبدأ رحلة جديدة في حياتنا بس شكل الموضوع مستحيل، على قد ما بحبك وبجنون يا عماد ولسه بحبك ومش عارفة هابطل امتى احبك، بس خلاص مش هينفع" .

"هبة، هانتحر" .

"وتفتكر أنا عايشة، أنا انتحرت لما قررت إني اسيبك" .

"بحبِك" .
"وأنا بحبك بس مش بإيدي والله" .
"أنا هاروح اطلبك دلوقتي من باباكي" .
"هارفض يا عماد، ارجوك بقى كفاية لحد كده، كفاية" .
توقفت ياسمين قليلًا عن الكتابة لتهدأ قليلًا وعاودت بعد أن شربت فنجان قهوة .
صدمة عماد لا تختلف كثيرًا عن صدمة غادة بعد أن صدت شريف، بعد فترة التقت بشريف صدفة وهو يجلس معي، لم تكن غادة ارتبطت حتى ذلك الوقت، ولم تتردد كثيرًا وهي تتوجه إليه .
نظرت غادة باندهاش .
"شريف ازيك؟"
نظر شريف في ذهول لغادة وتذكر لقائهما الأخير .
"غادة احنا مش أصحاب زي ما أنت قلتي؟"
"طبعًا يا شريف أنت اللي بعدت" .
"مش مهم بعدت ولا لا، المهم شكلك بقى وحش قوي، خلي بالك على منظرك" .
"أنت بتقول ايه؟"
"غادة الموضوع باين قوي وأنت بتجري وراه" .
"ورا مين؟!"
"غادة، كل أصحابنا بيترقوا عليكِ من ضهرك، عشان الولد اللي اسمه وائل، وأنت بتحاولي تكوني معاه على طول، وبتجري وراه" .
"شريف، مافيش حد بيحب حد يقول له الكلام ده!"
"أنا خايف عليكِ" .
"شريف أنت مش فاهم، أرجوك المرة دي ياريت مانتكلمش تاني خالص" .
توقف وميض المؤشر قليلًا، وفتحت ياسمين علبة سجائر جديدة وخلعت أخر ما ترتديه، ولم يتبق سوى ملابسها الداخلية، وعادت للكتابة .
عاد شريف سريعًا إلى أرض الواقع، لم يقف وإنما اكتفى برد التحية، ثم وجه

نظره إلي .
"ياسمين، خطيبتي" .
لا أعلم لماذا وصفني شريف بخطيبته رغم أن اللقاء كان لأخبره بغير ذلك، كانت الصدمة الثانية التي يتعرض لها حين أخبرته أنني سأتزوج، صدمة كانت كافية أن يستعيد معها حزن علاقته بغادة، دون سابق إنذار أنهيت علاقة الحب الوحيدة التي عشتها بصدق، لكن المدهش إنه رغم صدمته قرر أنه لن يكرر خطأه حين ترك غادة ترحل، ولم ييأس ظل يحاول أن يثنيني عن قراري، ومارس كل أساليب الضغط علي، ظل يلح، حاول جاهدًا أن يعيدني إليه لكني رفضت كل محاولاته، لم يكن شريف يدرك أن طموحي لا يتوقف، لم يدرك أنني لم أكن مستعدة أن أخسر حلمي بالارتباط برجل وسيم وطموح، أنا ياسمين رجال كثر توقفوا أمام أنوثتي، ولم أكن لأقبل أن تنتهي حياتي مع شريف، وعلي الرغم من كل هذا، كان داخلي صراع كبير بين زواجي وشريف الذى لم يجد مبررًا لإصراري على الزواج، إلى أن تبقت أيام على زفافي .
"أنت بتتصلي ليه دلوقتي؟"
"أنا تعبانة يا شريف وخايفة" .
"بلاش تتجوزي خالد ده، بلاش ومش عايز اتجوزك، بس بلاش" .
"مش هاينفع" .
"ليه؟"
"مش هاينفع، شكل بابا وماما هيكون وحش قدام العائلة" .
"بابا! أنت من أمتى بتهتمي ببابا؟"
"ده برده أبويا" .
"ياسمين أنا مستعد أتجوزك دلوقتي حالا، وأفتكري كلامي ده، اللي أنت بتعمليه ده غلط، وغلط كبير قوي" .

***

"هو أنا ليه حاسة أن فيه تفاصيل ناقصة؟"
"تفاصيل!! زي ايه؟"

"يعني ليه خالد ساب مها؟ وليه ياسمين سابت شريف؟"
"عشان هم نفسهم ماكنوش عارفين هم بيعملوا كده ليه، لو كانوا فكروا ماكنوش عاملوا كده، في ناس بتخاف لما يكون الحب أكبر منهم، خالد وياسمين الحب كان أكبر منهم بكثير" .

***

توقفت ياسمين عن الكتابة، توجهت إلى غرفة ملابسها ونظرت إلى الجزء الخاص بفساتينها، بحثت عن أكثرهم إغراءً، فستان وردي اللون فوق الركبة بقليل، يكشف عن نصف ظهرها وساعد في تجسيد انحناءات حافظت عليها بعد أن فقدت وزنها، ارتدت تالون ووضعت حول رقبتها سلسلة ذهبية لتزين ظهرها، ولم تنس أن ترتدي أخرى لتعلن عن التقاء نهديها، وقفت أمام المرآة لتستعيد ثقتها وعادت للكتابة وهي في كامل زينتها .
"أنت كنت فين يا حلمي وأنا باختار؟"
"أنت ماديتيش فرصة لحد إنه يساعدك" .
"لا واضح إنك مش فاكر، أنت كنت بتبعد بيني وبينه، تحب افكرك فاكر الحوار ده؟"
عادت ياسمين وحلمي بذاكرتهما .
"الو، حلمي، أنت في الشغل ولا فين؟"
"لا أنا قاعد على البحر باخد تان" .
"يا سخيف" .
"ما هو ده مش سؤال برده، قاعد شغال" .
"ممكن طلب" .
"ياسمين، أنا عارف أنت عايزة ايه، شريف كويس" .
"والله مش بحبه خلاص، بس صعبان علي وندمانة إني سبته" .
"تعرفي أنت سألتيني السؤال ده كام مرة؟"
"عارفة" .
"طيب والإجابة بتكون ايه؟"

"لازم نتحمل نتائج اختياراتنا ونتقبل البدائل، مش قادرة اتقبل، ده أنت مش متخيل خالد بيعاملني ازاي؟"

"ياسمين كونك متجوزة يمنع يكون عندك علاقة تانية" .

رغم زواجي من خالد ومرور وقت طويل إلا أنني أفتقد بشدة لمشاعري مع شريف، اتخذت قرار السيطرة عليه من جديد، استطعت أن أؤثر سريعًا عليه، حتى نسي أنني متزوجة أقنعته أن الطلاق قريب لا محالة، وبدأ شريف الاستعداد للمواجهة، فبمجرد أن أُطلق سيتزوجني، كان سيفعلها من قبل ويتزوجني دون علم أحد، شريف جريء في حبه ليّ ولكن ظل حلمي عائق بيننا وحاول بشتى الطرق .

"حلمي أنا لسه بحب شريف ومش قادرة اعيش من غيره" .

"اطلقي الأول يا ياسمين" .

"تفتكر لو اطلقت، شريف يستاهل واحدة زيي؟"

"مالك أنت؟ واحدة غلطتي في اختيار ومش معناه انها اخر الحياة بس لازم تطلقي" .

"شريف انضف مني بكثير وأنا ما استاهلش واحد زيه" .

لم يقف حلمي عند هذا الحد، فقد حاول أيضًا الضغط على شريف .

"شريف، ياسمين متجوزة واللي أنت بتعمله ده غلط" .

"عارف بس تعرف لما تبص في عين واحدة وروحك تتوه منك ونَفَسك يروح منك وعينك تغمض لوحدها؛ عشان مش قادر تبص لها كثير، لما تكون عارف أن حبها غلط بس مش قادر تمنع نفسك عنه ومش قادر تبعده عن قلبك، لما تكون مسيطرة على مشاعرك، لما يكون قلبك هو اللي بيحرك فيك كل حاجة، أنا مش بأيدي إني امنع نفسي عنها حلي الوحيد إني ماشوفهاش، بحاول ابعد بس الظروف بتمنعني، بحاول اكون مش خاين بس أنا ضعيف قوي، أنا بدعي كل يوم إني انسى حبها، بس جوايا مش بيأمن على الدعاء" .

"ايه المشاعر دي؟"

"تعرف يا حلمي أنا قلت لها روحي اتطلقي ولما تطلقي هاتجوزك بس أنا

بحبها" .
استمرت ياسمين في الكتابة وهي تحاول أن تجد شماعة لفشلها .
"أفتكرت؟"
"ياسمين أنا عشان عارفك كويس فكان لازم اتحكم في مشاعرك" .
"أنت كنت بتتحكم في سعادتي" .
"ازاي سعادتك تكون في الخيانة؟"
"أنا عملت كده عشان كنت، كنت . . . ." .
"ياسمين أنت عندك شخصيتين، كل واحدة ليها حركاتها وتصرفاتها وقناعاتها، ياسمين اللي عايزة تكسب كل حاجة وبأي وسيلة، ممكن تلاقي لنفسها مبرر لأي حاجة، زي كده لما بطلت تلوم والدتها على المشهد اللي شافته" .
"حلمي" .
"سيبيني اكمل، وياسمين الطيبة اللي حبت في يوم من الأيام شريف بجد ومن قلبها وخلاكي تشوفي نفسك كويس، في ياسمين اللي بتحب وياسمين اللي بتخون والخيانة عمرها ما جابت سعادة" .
"أنت قاسي قوي" .
"أنت اللي كنتِ قاسية على نفسك أكثر من أي حد" .
"ندمانة، قوي" .
توقفت عن الكتابة وعاد وميض المؤشر أمامها وهي تتحدث بصوت مرتفع: " فاكر يا حلمي ولا نسيت؟ أيوه يا حلمي أنا حبيت شريف، أنا كنت بعشقه، شريف كان انضف حاجة في حياتي، عمري ما تخيلت في يوم أن ممكن حد يحبني الحب ده كله عشان أنا ما استاهلش، أنا وحشة قوي بس ضعيفة قوي يا حلمي، ضعيفة" .

***

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً، حين رن جرس منزل ياسمين .
"هبة!"
"مستغربة ليه؟"

"أصلك ماتصلتيش" .
"وأنا لازم اتصل؟"
"لا طبعًا أنت هبلة، عشان بس لو كنت مش موجودة" .
"وراكي حاجة . امشي؟"
"حتى لو ورايا، ايه يا هبة أنا ياسمين مالك حساسة قوي كده؟"
دخلت هبة الغرفة وألقت نفسها على السرير، نظرت إليها ياسمين .
"عماد" .
"ايوه، ايه اللي حصل؟"
"سبنا بعض" .
"تعالي اقعدي على الكرسي ده وفهميني واحدة واحدة" .
"أنا هاقعد على الكنبة" .
أشارت إلى التسريحة .
"لا اقعدي هنا هاعمل لك مكياج" .
"هو ده وقته؟"
"تعالي بس" .
جلست هبة أمام التسريحة ونظرت إلى المرآة وياسمين وهي تخرج إحدى علبها السحرية .
"أنت بتعملي ايه يا ياسمين؟"
"لما اخلص اللي بعمله هاتعرفي إنه وقته، ايه اللي حصل بقى؟"
"عماد بيخوني" .
"طب ما أنا قلت لك قبل كده إنه بيخونك وأنت عمرك ما صدقتي" .
"عشان بحبه" .
"طب ايه الجديد؟ كرهتيه مثلا؟"
"لا" .
"ايه اللي حصل؟"
"كنت دايما بحس إني مبسوطة حتى لما كنت باعرف إنه بيخوني، ماكنتش بصدق،

ماكنتش عايزة اخرج من السعادة دي، بس المرة دي بعد ما عرفت حسيت إني حزينة من غير سبب، والله من غير سبب" .
"بتعيطي ليه طيب؟ الميك اب هيبوظ" .
"ما يبوظ يا ياسمين في داهية" .
"روحي اغسلي وشك واهدي وتعالي اقعدي" .
مرت دقائق وعادت هبة وجلست مكانها .
"أنا آسفة إني زعقت لك" .
"بلاش هبل" .
"تفتكري ممكن يكلمني تاني؟"
"اكيد هيكلمك ده عماد وأنا عرفاه كويس" .
"بس أنا قفلت كل البيبان، كلها" .
"هيرجع" .
"مش هيرجع المرة دي صدقيني مش هيرجع، أنا فعلًا قفلت في وشه كل حاجة، مع إنه لو كلمني واعتذر هاضعف" .
انتهت ياسمين من وضع المكياج على وجه هبة حتى عادت أميرة كما كانت في صغرها، ورسمت على وجه هبة ابتسامة ثقة أعادت إليها جزءًا من روحها .

***

(الروح - حلمي وحبيبة)

"حلمي بس قبل ما تكمل، أنت ليه أفتكرت اليوم اللي طلبت فيه الطلاق؟"
"في لحظة بتفرق في حياتنا يا حبيبة، يا اما ناخد القرار الصح ونكمل حياتنا، أو نغلط ونقتل روحنا قبل ما نموت بسنين" .
"قصدك أن طلبي كان غلط" .
"لا طلبك كان صح، بس لو كنت وافقت عليه كان هيبقى غلط" .
"فزورة دي؟"
"لا بس أنا كان قدامي اختيارين أسهلهم أصعب من التاني، بس تعرفي بعد ما طلبتي الطلاق حسيت بقلق أول مرة أحس بيه، أنا كنت عايش معاكي وجوايا

سكينة كنت مرتاح على قد ما إحنا كنا بعاد عن بعض، شعور القلق ده خلاني افكر هو أنا لو سيبتك هاكون مبسوط" .
"أنت كنت عايز تسيبني يا حلمي؟"
"فكرت يا حبيبة القلب مش هانكر، بس صدقيني لو قلت لك إني لما رفضت الطلاق شعور القلق راح، وعلى قد المشاكل اللي حصلت بعدها، بس ماكنتش قلقان خالص" .
"ده كان أهم قرار أنت أخدته في حياتك وصدقني أنا فعلًا طلبت الطلاق وكنت بادعي إنك ترفض، كان نفسي اعيش معاك، عشان على قد البعد اللي ما بيننا بس كان فيه حلم جوايا وأنت اللي اتمسكت بيه" .
أقف في نفس المكان والموعد من كل أسبوع أنتظرها، وهي تسير بخطوات سريعة في محاولة للحاق بالخمس دقائق الأولى من تدريب ابنها الأكبر، وهي تحثه أن يُسرع ويسبقها فهي بالكاد ترفع قدميها وهي تدفع أمامها الوليد وتحاول أن تمسك يد طفلتها الأصغر سنًا، يعلو صوتها ما بين كل لحظتين في محاولة لتوجيه أطفالها، توقفت عندما سقطت طفلتها نظرت إلى ابنها البكري بغضب وهي تشير إلى مكان تدريبه: "امشي بقى هتموتني تمرينك بدأ"، ابتسم وأنا أتخيله ابني وأنني المسؤول عن تدريباته، ينظر إليها ابنها بلا مبالاة ودون رد تركها وهي تساعد ابنتها على الوقوف مع أنغام صريخ وليدها، أخذت نفس عميق وتركته في صدري ظنًا مني أنني لن أبكي، ولكني كالعادة بكيت، كان من المفترض أن يكون ثلاثتهم أبنائي ولكني تخليت عنها مثل غيرها، رُسمت سريعًا على وجهها ابتسامة في اللحظة التي وصلت فيها إلى الممر القاطن بين ملاعب التدريب، وقفت خلف أنثى أخرى تنتظرها حتى تجمع حاجياتها وما أن رحلت حتى جلست وهي تتابع ابنها في التدريب، نظرت خلفها وهي تحدث أم أخرى كانت تتابع التمارين دون أن تلقي التحية سألتها: "هو مش احنا اشتكينا أن كابتن ما يدربش تاني"، دون أن ترتاب الأم الثانية وعلى ما يبدو أنه طقس نسائي ردت عليها: "وهو احنا عارفين ناخد معاهم حق"، لم تكمل الحديث عندما رأتني، لم أقو على رفع عيني في عينيها، ولكنها هي استطاعت ودار حوار سريع .

"أزيك يا حلمي؟"
"أزيك يا حبيبة، ولادك حلوين ما شاء الله" .
"أنت عجزت قوي كده ليه؟"
"الزمن بقى، ياله سلام وخليني أشوفك" .
إحدى روايتي التى فشلت فيها .

(٨)
أساطير السعادة
«إحساس جديد»
نانسي عجرم
ألبوم الدنيا حلوة - ٢٠٠٧

لم يمُر يومٌ إلا وهو يحب، ولم يعش يومًا للحب إلا وحيدًا
.

"أنا فخور بيكِ فعلًا" .
"ليه يا دكتور؟"
"عشان الواحد لما يتعلم من أخطاؤه بيكون إنسان مختلف" .
"أنا حاولت احافظ على بيتي بس" .
"مها، أنت عملتي حاجتين صعب جدًا على اي واحدة تعملهم، أنت اعترفتِ إنك غلطانة وسامحتِ جوزك رغم إنك متأكدة أن غلطته لا تغتفر، أنت فعلًا قوية وأنا فخور بيكِ جدًا جدًا" .
"شكرًا يا دكتور" .
"عندي سؤال ممكن يكون بره موضعنا شوية" .
"أتفضل يا دكتور أسال زي ما أنت عايز" .
"إحساسك ايه بخالد دلوقتي؟"
"خالد؟"
أخرجت لسانها وداعبت به شفتيها .
"عيب اقول كده وأنا متجوزة بس هاكون صريحة معاك يا دكتور، خالد هو أول شروق على قلبي، خالد هو اللي فتح قلبي لحاجات كثير، هو حبي الأول، مش هانكر إني بفكر فيه أحيانًا، بس مش خالد اللي سابني، فيه خالد تاني بيوحشني، خالد اللي كنت بحس بروحى بتخرج في ايديه لما بيسلم علي أو لما عينه تيجي في عيني، أنا بقولك أنت بس عشان أنت دكتوري، لكن أنا مش باعترف بده حتى لنفسي، أنا ست متجوزة ودي خيانة وأنا معترفة بس أنا مش لاقيه طريقة اتحكم بيها في ذكرياتي" .
"أي حاجة ممكن نتعود عليها" .
"عارف يا دكتور المشكلة الوحيدة أن الحب ده بيبقي حب built in مشاعر موجودة في القلب بتموت مع موت القلب" .

***

توقفت مها قليلًا حتى تضع السماعات في أذنها وسرعان ما عادت تنظر إلى وميض المؤشر وتستمر فيما تكتب وهي تبتسم ابتسامة أظهرت أحلي ما في وجهها .

عدت من رحلة العمرة بعد طلاقي مباشرة، كنت أظن أنني بعدها سأترك همومي فقط، ولكني تركت معها قلبي الذى لم يعد لديه القدرة على الحب، خرج خالد من حياتي أو هكذا كنت أظن وقتها فقد عانيت كثيرًا بعده، أما وائل فلم يكن يشغل هذا الحيز الذي كنت أظن أنه يملؤه وبت أبحث في الزواج عن شيئين رجل كلمته من رأسه وعقليته تتناسب مع جنون تفكيري، نعم أعترف أنني بحثت عن الجنون بعد كل ما عانيته، رفضت الكثير من الزيجات لم أعد أبكي على شيء، أنا عاشقة مجروحة وعروس مطلقة، كانت أمي تدعمني بشتى الطرق إلا أنها كانت رافضة فكرتي عن الزواج .

"يا بنتي أنت بتدوري في كوم قش على عريس شبهك وربنا خلقنا مش شبه بعض" .

"ماما، أنا جربت مرتين وعكت الدنيا معايا، عشان خاطري المرة دي بلاش ضغط لحد ما ألاقى حد مناسب" .

"مناسب ازاي يعنى عشان ابقى عارفة؟"

"ماما إحنا أصحاب طول عمرنا صح؟"

"صح" .

"يبقى مش هتزعلي من اللي هاقوله، فاكرة زمان أنت وبابا كنتم عاملين أزاي؟"

"فاكرة، وفاكرة كمان إنك كنتِ جنبي وضهري في عز المشاكل" .

"يبقى خليكِ في ضهري يا ماما دلوقتي عشان فعلًا محتاجة ضهر" .

"ما هو عشان أنا في ضهرك يا بنتي بقولك المناسب ده إحنا اللى بنخلقه، احنا اللي بنعمل المناسب، طب ما أنا وباباكي بقينا مناسبين لبعض بعد كل المشاكل اللي عدت" .

"وأنا ماعنديش طاقة يا مامتي عشان أفصل المناسب ده" .

كانت رحلتي عن السعادة مجرد حلم عشته مع نفسي ورأيته في الآخرين .
***

(دفتر الملاحظات – الملف الرابع - الاحتياج)

عماد أيضًا كان في رحلة البحث عن السعادة في فتاة بلا علاقات سابقة، صدمته هبة بانسحابها وفقد ياسمين بعد زواجها، اثنتين عشقهن لأن في الاثنتين كل ما كان يحلم به، هبة التي تعيش كالأميرات وياسمين التي تمتلك الأنوثة وتجيد استخدامها، ولكن عماد رأى أنه بعد هذا العمر وبعد كل ما مر به، عليه أن يستقر وكان اللقاء بيننا، لم يكن عماد يبحث عن أنثى، عماد كان يبحث عن زوجة وكنت أنا، لا يزال يتمتع بوسامته منذ صغره إلا أن علاقاته النسائية باتت منعدمة، ولكن بمجرد أن رآني – أعترف أني أمتلك حيزًا من الغرور- في لقاء مُدبر من أحد أصدقائنا .

"هو ايه احتمالية أن واحدة جميلة قوي زيك كده تكلم واحد وحش قوي زي كده؟"

نظرت إلى صاحب الصوت بدهشة وصمت قليلًا من وسامته .

"أنا عماد صاحب حلمي" .

"أهلًا وسهلًا" .

أشار إلى مكان بعيد ولوح بيديه إلى حلمي .

"هو اللي قالي استناه معاكِ" .

"تنور اتفضل، بس ايه الدخلة الغريبة دى؟"

"غربية ازاي؟"

"لا مافيش بعدين، أنا هاكلم حلمي" .

استمتعت بنصف ساعة من الحديث مع عماد، بدا أنه لا يريد أكثر من الاستقرار ولا مانع لديَّ أن أستقر معه، الحقيقة أنني أعجبت به ولكن لكي أكون أكثر صراحة فقد قارنته بخالد ووائل وشتان ما بينهم، رجل وسيم، كانت أول دقائق كافية ليظهر قوة شخصيته ويرسم ابتسامة فرحة على وجهي .
***

كانت مها وعماد قصتي الرابعة التي لم أجد لها عنوانًا، زواج بحث عن الزواج، ليُكمل شيئًا مفقودًا بداخلهما، لم يجداه في تجاربهما السابقة، زواج فيه كل الاحتمالات متاحة الفشل والنجاح، الحب والكره، السعادة والغضب، المتعة والفتور، دافعهما كان البحث عن كل هذا .

"حلمي استني شوية" .

"في ايه؟"

"هو أنت ايه علاقتك بجوازهم؟"

"في مليون حلمي غيري يا حبيبة ومش مهم الأسامى متنسيش" .

"وحلمي اللي في الرواية كان عايز ايه؟"

"كان عايزهم يعيشوا مبسوطين" .

"السعادة لا تصنع" .

"لا يا حبيبة احنا ممكن نصنع السعادة بس لما نفهمها" .

"يعني القصة الرابعة ممكن تسميها السعادة؟"

"مش السعادة، عماد ومها اتجوزوا عشان الاحتياج ودى انقي انواع العلاقات" .

***

مرت الأيام وأنا وعماد نتقارب بحذر شديد، حاول كلانا أن يكون واقعي نقاشاتنا أكثر عقلانية، أناقشه في شخصيته ويحلل شخصيتي، نتقبل الاختلاف بمنتهى الوضوح، باتت العلاقة أقرب إلى لوحة زيتية بألوان متناسقة ولكن غير مفهومة,

"مها احنا كل حاجة بيننا واضحة، بس أنا مش مبسوط" .

"يعني ايه؟"

"يعني مش حاسس إننا هنكون مبسوطين، مع إن فيكِ كل اللي أنا محتاجه من زوجة" .

وأنت فيك كل اللي أنا محتاجاه من زوج ، فين المشكلة؟!"

"مش هنبقى مبسوطين" .

كان قراري بعد هذا اللقاء مختلفًا، قررت أن أقاتل على ما أريد .

"حلمي هو مش عماد صاحبك؟"

"اه" .
"قوي ولا عادي؟"
"في ايه يا مها؟"
"أنا وعماد اتكلمنا وقال لي إنه مش عايز نكمل مع بعض عشان مش مرتاح لفكرة الالتزام" .
"و؟!"
"وأنا مش عايزة اسيبه يا حلمي، ممكن تساعدني أنا فعلًا مش عارفة أرد عليه إزاي، ومش عارفة أوافقه أو عشان أكون واضحة أنا مش هوافق إني أسيبه، بس في نفس الوقت مش عايزة أبان مذلولة" .
"وأنتِ مذلولة؟"
"ايوه، بس مش حب، أنا ممكن اكون ماحبتوش بس شايفة حياتي معاه مناسبة"
تابع حلمي علاقتي بعماد في هذه الفترة وأصبح يلقنني ما عليَّ قوله أو إرساله حتى أن آخر رسالة كتبها هو وأرسلتها أنا من هاتفي، "عماد أنا عملت لك كل حاجة في الدنيا عشان نفضل مع بعض، عايز نفضل تمام، مش عايز تمام، يمكن هازعل شوية بس لما افتكرك مش هاندم، عشان عملت كل المحاولات إننا نفضل مع بعض وانت ماعملتش" .
توقفت مها مجددًا لتحتسي فنجانًا من العصير وهي تدلك رقبتها وتبتسم حين تذكرت وائل .
لم أشعر بغضب من وائل رغم أنني أُعتبر طليقته، ولكن كان المسيطر آنذاك إحساس بالشفقة، تأكد لي - بعد أن ترك والده يكمل إجراءات الطلاق- أنه لا حيلة له، وائل كان رائعًا لولا تدخل والده، لا أنكر أنني أعجبت به للحظات، لم يكن في قلبه غل لأحد حتى إنه اعترف لي باعتراف قبل خطبتنا .
"بما إننا هنتخطب خلاص أنا عايز اعترف لك بحاجة" .
"خير؟"
"هو أنا بكلم أمي، ايه خير دي؟"
"ماقصدش، لو مصيبة بلاش تعترف" .

"لا خالص، وأنا في الكلية كنت بحب واحدة اسمها غادة بس ماكنتش قادر أعترف لها بحبي ده" .
"ليه؟"
"بلاش أسباب دلوقتي، بس حاسس أن من حقك تعرفي القصة، كنت بحبها بس عمري ما اعترفت لها كنت، كنت . ." .
"كمل" .
"لا خلاص المهم كنت بحب واحدة زمان وكان لازم أقول لك" .
لم أعترف له بعلاقتي بخالد وقتها، ولكن مع الوقت أدركت أنه رفض البوح لصديقته في الجامعة بسبب ضعفه، كان اللقاء الأخير بين غادة ووائل في الجامعة، كان وائل الشخص الذي ظن شريف أن غادة تحاول فرض نفسها عليه .
في نفس المكان الذي أفصح فيه شريف عن حبه لغادة، جلست هي مع وائل .
"غادة أنا مش عارف اقولك ايه!"
"وائل أنا عارفة إنك بتحبني" .
"مش عايز اطلع عيل قدامك، أنا طول حياتي بيتفرض علي حاجات وخايف التزم معاكِ بالتزام ويتفرض علي حد غيرك، أنا مش هاقدر أكمل معاكِ" .
"أنا ممكن استناك" .
"مش هاينفع صدقيني" .
وبمجرد أن انفصلنا وبعد مكالمته الأخيرة معي وخروجه من تحت سيطرة والده، كان عليه إجراء مكالمة أخرى .

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

"الو" .
"وائل؟ أنت وائل صح؟!"
كانت الساعة العاشرة صباحًا وكانت في مقر عملها، وقفت ونظرت إلى شباك خلف مكتبها وتلفتت يمينًا ويسارًا وخفضت صوتها .
"خفت تكوني غيرتي رقمك" .

"لا ماغيرتوش" .
"ولا صوتك اتغير" .
"ولا أنت، أخبارك ايه؟"
"تمام أنت في الشغل؟"
"اه" .
صمت لثوانٍ وأخذ يحرك قلم في يده بتوتر، وأخذ نفسًا عميقًا حتى وصل تنهيده إلى أذن غادة .
"غادة أنا آسف عشان كل حاجة" .
أخذت وقتها وهى تبتسم ثم مسحت دمعة خانتها سريعًا قبل أن يلاحظها أحد
"آسف على ايه، مافيش داعى للأسف، كنا صغيرين" .
"لا أنا آسف عشان أنا كنت ضعيف" .
"من غير ما تكمل مش محتاجة آسف لا على كونك ضعيف أو، أو عشان اتجوزت، مش محتاجة آسف على حاجة" .
"أنا اتجوزت عشان عشت مع راجل متحكم وماعرفش ليه كنت كده، أنا كنت هاتجوز واحدة عشان كانت عجباه" .
عادت إلى مكتبها وجلست .
"مش فارقة يا وائل والله مش محتاجة آسف" .
"هو أنا معطلك؟"
"هو أنت مش بتشتغل" .
"بشتغل طبعًا بس بفتح بيزنس جديد وبحاول اكون مستقل، بقولك ايه ممكن نتقابل؟"
"نتقابل ليه؟"
"هو أنت ارتبطي؟"
"قديمه قوي ارتبط دي يا وائل، بس لا أنا لسه لوحدي" .
"طب كويس" .
"كويس!"

"تعرفي أنا فين دلوقتي؟"
"لا" .
"أنا عارف إنك بتقفلي كلام، وده حقك، بس أنا قاعد في سوا وعايز اقابلك ينفع"
"وائل أنا بس عايزة أقولك حاجة، أنا خسرت واحد من أعز اصحابي عشان قال لي في يوم إني بجري وراك، وأنت زمان ماقدرتش ده، هنتقابل ليه؟"
"قصدك على الولد اللي كان لازق لك ده، ده كان شكله عبيط قوي يا غادة ومبهدل كده في نفسه، وأنت كنتِ أحلى واحدة في الكلية كلها" .
"ماتقولش عليه كده، على الأقل عرف يعترف بمشاعره" .
"هو كان بيحبك؟"
"مابقاش وقته الكلام ده، كنا صغيرين" .
"طب ممكن نتقابل واشوفك كبرتِ ولا لسه صغيرة؟"
"يا وائل" .
"فرصة تانية، أنا هستناكي في سوا، هاقعد هناك من الساعة خمسة وهستناكِ" .
"وائل أنت ايه اللي فكرك بيا بس؟"
"والله العظيم يا غادة عمري ما نسيتك، ولا حتى لما كتبت كتابي، عمري . . . أنا هستناكي" .
أنهت غادة المكالمة مع ابتسامة وتنهيدة عميقة .

***

"مش مهم الأسامي صح؟"
"صح يا حبيبة" .
"ووائل كان بيقول على شريف شكله عبيط مع أن شريف كان صاحب عمره؟"
"مالك يا حبيبيه بس؟"
"لا يا حلمي مافيش كمل، أنا كنت بفكر نفسي بس" .

***

"أنت سيبت مها ليه؟"
"أنت أول مرة تسألني السؤال ده يا دكتور؟"

"تعرف يا خالد عشان نحل مشاكلنا؛ لازم نعرف السبب لازم تعترف أنت ليه سيبت مها" .
"اخر مرة قابلت مها لوحدنا كان واحنا بنشتري بدلة عشان شغل في شركة كبيرة، كانت تقريبا ثاني شغلانة ليّ بس كانت هتفرق معانا كثير قوي، اشترت لي البدلة عشان الشغل وعشان اروح أخطبها . . ." .
"سيب دموعك يا خالد مش عيب، كمل وخد راحتك" .
"مها كانت جميلة أنا على طول كنت باشوفها جميلة بس كنت خايف قوي، تعرف يا دكتور تقريبًا أنا اتجوزت عشان تكرهني، أنا اتجوزت ياسمين عشان مها تكرهني" .
"كنت عايزها تكرهك ليه؟"
"عشان ماكنتش قادر على حبها، أنا كنت، لا مش كنت أنا لسه بحبها وبجنون يا حلمي" .
نظر حلمي إلى بندول الساعة وهو يهز رأسه معترضًا على هذا التفكير .
"وفيّ سبب كمان عشان حسيت أن عماد ممكن يتجوز واحدة أحلي منها" .
جلس خالد وحيدًا وهو يستمع إلى أحد ألبومات كاظم الساهر القديمة وأمسك هاتفه المحمول وبدأ في الكتابة .

(دفتر الملاحظات - العقل)

سافرت أنا وياسمين لقضاء شهر العسل على إحدى سواحل القارة الآسيوية المطلة على المحيط الهندي، كانت الليلة الثانية وبعد أن ارتاح كلانا من السفر ارتدت مايوه بيكيني واتجهت إلى حمام السباحة مباشرةً، لم أعلق على المايوه، أنا الذي رفض من قبل أن ترتدي مها ملابس ضيقة تكشف عن مفاتنها الآن أترك زوجتي ولا أعلق، لم تكن تكفي ورقة تعترف بزواجنا أن تجعلني أشعر معها بعلاقة زوجية، مر الأسبوع الأول دون أن اقترب منها، رغم المعادلة الحسابية لزواجنا إلا أن لي جانب رومانسي أرفض الكشف عنه، كنت أنتظر إشارة منها ولكنها صمتت وفضلت الابتعاد .
في اليوم الأخير أرسلت ياسمين رسالة نصية إلى شريف، "أنا لسه بنت، أنت

ممكن تسامحني" .
سعادة غامرة شعر بها شريف بعد الرسالة وراوده الأمل من جديد، رغم هذه السعادة إلا أنه رد عليها سريعًا، "عيب أنت ست متجوزة"،
لم تكن أيام زواجنا الأولى سوى بذرة للخلاف، وتركنا تلك النبتة تنمو لتقتل أي محاولة لخلق حياة أسرية، لم أكن أتخيل قط أن حياتي ستنتهي بهذه الصورة، تركت ياسمين المنزل بعد شهرين لم أستطع أن أعطيها متعة جنسية وأنا روحي مع أخرى، لم يجمعنا سرير في الشهرين إلا وكانت مها ثالثتنا لم تفارقني للحظة، لم أستمع لصرخات أنوثة ياسمين، كنا على وشك الانفصال حتى بعد أن أكتشفت ياسمين حملها مُورست ضغوط علينا حتى عدنا إلى المنزل سويًا وإن بقيت روح كل منا في مكان أخر .
في هذه الأثناء بدأ شريف في التقرب من عماد، في محاولة منه لمعرفة آخر أخبار ياسمين، ولأن شريف دائم التعامل بفطرته نسي مع الوقت السبب الحقيقي لصداقته من عماد، وكلما رآه في موقف يحتاج للمساعدة تدخل حتى إنه كان أكثر من قدم له يد العون أثناء زواجه، وكانت صداقة عماد إحدى الأسباب في عودة الاتزان لشريف، وإن كان قد فقد اتزانه مرة أخرى حين استقبل مكالمة غريبة من ياسمين .
نظر شريف على الرقم المسجل على هاتفه وظل لثوانٍ مترددًا بين الرد من عدمه
"أنت عايزة ايه مني يا ياسمين بعد السنين دي؟ أنتَ مش اتجوزتي؟"
"طب قول سلام عليكم" .
"عايزة ايه يا ياسمين؟"
"ممكن ارجع اكلمك؟"
"أنت متجوزة وماينفعش، أنت مش عارفة أنت عملتِ فيَّ ايه، أنا بني ادم يا ياسمين" .
"هو أنت فهمت ايه لا أنا ماقصدش الهبل ده، وأنا عارفة إني غبية جدًا عشان سبتك، أنا برتاح وأنا بكلمك، أنا بيني وبين خالد مشاكل كثير" .
"وأنا مش حل لمشاكلك مع خالد، سيبيني في حالي" .

أغلق شريف الهاتف واتصل بحلمي .
"حلمي، ياسمين كلمتني" .
"و؟!"
"عايزة تكلمني" .
"شريف من غير لف ودوران، اقفل على الموضوع ده ولو اتصلت بيك تاني ماتردش، اقطع كل علاقتك بيها" .
توقف خالد قليلًا عن الكتابة واتجه إلى مشغل الأسطوانات ووضع أسطوانة لكاظم الساهر، وبدأ يغني معه بصوت مرتفع .
"وأعرف أنى أعيش بمنفى وأنت بمنفى وبيني وبينك
ريح وبرق وغيم ورعد وثلج ونار
أعرف أن الوصول لعينيك وهم
وأعرف أن الوصول إلى شفتيك انتحار" .
عاد بعدها إلى الكتابة وكاظم الساهر يشدو خلفه .
كان أكثر الأيام مرارة يوم زفاف مها، كان من الممكن أن أعتذر ولكن أردت وبشدة أن أشاهد زوجها، نظرت إلى خزانة ملابسي وعلى الرغم من امتلائها بالملابس والبدل ولكن كانت هناك بدلة وحيدة، البدلة التي اختارتها مها، توقف عقلي عن القيام بدوره الحيوي، وبدأ القلب في السيطرة على ما تبقى لي من مشاعر، ارتديتها بالطريقة التي كانت تفضلها ثم زينت معصمي بآخر هدية منها، كان واضحًا شعور الدهشة على وجه ياسمين وأنا أرتدي تلك الحلة القديمة، اعتادت على أن تراني أزهو بنفسي وأرتدي فقط ما وضع عليه اسم أشهر الماركات، لكن ياسمين لم تعد تهتم بما أرتدي منذ فترة طويلة ولم أجد أحدًا أحدثه إلا خالد القديم .
"معاك فلوس كثير اهو ومش نافعة" .
"أعترف إنك غلطت وحاول من جديد" .
"مافيش جوايا حب غير ليها" .
"للحب ألف لون، انساها" .

"يعني انساها وافتكر بوز الاخس اللي معايا دي؟"
"مش دي للي أنت كنت هتموت عليها؟!"
"حمار، أنا حمار" .
كان الطريق إلى قاعة الفرح أشبه بطرق سباقات الصحراء أنا وحدي، وحرارة شديدة أشعر بها رغم المكيف الذي يعمل على أعلى درجاته بالسيارة الفارهة، بمجرد أن وصلت إلى قاعة الأفراح اختفى الحضور وبقيت مها أمامي ودمعة حبيسة في عينيها، نظرت إلي ورفضت أن تخفي ابتسامة رسمها على وجهها من تتمايل بين أحضانه، فهو أحق بالابتسامة عن حزن إشفاق على ماضٍ رفضها كان قلبها يُعتصر من الحزن، أنا أعرف تلك الفتاة أكثر مما تعرف هي، للمرة الأولى تشعر برغبة في البكاء منذ أن تركتها، فهي تعلم أنها فقدت مشاعرها ولم تقو على الحب مرة أخرى .
ولم يكن هناك إلا حلمي لينتشلني من هذا الهم .
"للمرة المليون، حلمت بيها امبارح يا حلمي" .
"عشان أنت مش بتفكر غير فيها" .
"ما هو أنا مش عارف مافكرش" .
"والمرة دي ايه بقى يا عم الرومانسي؟"
أغمض خالد عينيه مع ابتسامة غير مصطنعة .
"شفتها على البحر مسكت راسي وحطتها على صدرها وحسيت بيها قوي، حسيت قد ايه كانت محتاجانى وأنا بعتها، سمعت صوت قلبها، هي ممكن تكون حاسة بي؟"
"الأرواح دي عالم غريب، مش بعيد" .
"بجد ممكن؟"
"كمل يا خالد" .
"أنا مالحقتش ابص لها، بس حسيت انها بتعيط، لا مش هي لوحدها، أنا كمان كنت بعيط أول مرة من زمان احس بيها قوي كده، أول مرة من زمان توحشني كده أنا هاموت عليها، واول مرة اكتشف قد ايه أنا ظلمتها وظلمت نفسي" .

"تفتكر يا خالد لو كنت اتجوزتها كنت هاتحبها الحب ده كله؟"
"فصلتني" .
"ما هو أنا لازم افصلك طبعًا، أنت عامل ايه مع ياسمين؟"
"استغفر الله العظيم" .
"ايه يا عم، هي مش كانت طالبة الطلاق؟"
"وأنت فكرك إني هاطلقها بالساهل كده؟ هي لسه شافت حاجة مني" .
"ايه يا ابني الغل ده؟"
"أنا اعرف حاجات عنها ومش حابب اقولها، بس في يوم هاخد حقي منها" .
"تعرف عنها حاجة ولا بتلومها عشان ماتجوزتش مها بسببها؟"
خالد من قمة الرومانسية إلى قمة الثأر خالد يخفي مشاعره الحقيقية عن حلمي .

***

نظرت إلى الوميض على الشاشة وأكملت .
"كل واحد عنده حلمي، حلمي اللي بيشاركه كل مشاكله وبيستنى منه النصيحة، بس حلمي دائمًا بينصح بمشاعره مش بواقعية السؤال، هنا يا ترى حلمي نصحهم صح؟!"
"ايه يا حلمي؟ هو أنت السبب في اللي هم فيه؟"
"أنا السبب!! ازاي يا حبيبة؟"
نظر حلمي إلى بندول ساعته وهو يحاول أن يسيطر على نبضات قلبه، ضم شفتيه وحاول أن يتماسك إلا أن حبيبة لاحظت ذلك، حاولت الاقتراب منه و لكنه أشار لها بيديه، فظلت في مكانها وشاهدته وهو يمسك قلمه ويستمر في الكتابة .

***

قررت ياسمين أن تعود إلى رشاقتها، بدأت في نظام غذائي صارم ولكنها فشلت، هنا قررت أن تخضع لعملية جراحية في المعدة لتساعدها على العودة إلى شكلها القديم، ولكنها لم تعترف لأحد بالعملية وقالت أنها اتبعت نظام غذائي

مع ممارسة التمارين الرياضية، وسرعان ما عادت تشتاق إلى علاقاتها السابقة ونظرات الرغبة في أعين الرجال، ساعدت عماد أن يعمل معها في الشركة التي التقت فيها بخالد، وكانت الظروف مناسبة بعد أن ترك خالد وظيفته ليعمل في دولة أخرى وبقي زواجهما على الورق، وهنا رسمت لنفسها مبررات أن تعود إلى علاقة أخرى ربما تنسيها وحدتها وكان عماد .

"الو" .

"ايه يا بنتي أنت فين؟"

"في الدنيا، أنت أتجوزت؟"

"هبة سابتني وأنت بعتيني كنت عايزاني اعمل ايه يعني؟"

"غلطت يا عماد والله" .

"أنت فينك دلوقتي؟"

"ده اللي أنا متصلة بيك عشانه" .

"ايه؟"

أنا اشتغلت في شركة جديدة وعايزاك معايا" . CV "ابعت لي ال

"الفلوس ايه؟"

"ابعت بس وأنا هاظبطك" .

كانت على الجانب الآخر تتصل بشريف يوميًا حتى تحكمت فيه من جديد .

"أنا ها اطلق" .

"أنت عايزة ايه مني؟ ابعدي عني بقى" .

"شريف أنا هاطلق ممكن نتقابل، أنت واحشني جدًا" .

لم يقاوم شريف الرغبة وبدأ يتعامل معها على أنها منفصلة وأن طلاقها مسألة وقت، وافق على اللقاء في نفس المكان الذي كانا يجتمعان فيه، ولأن شريف مختلف أهداها هدية عن كل عيد ميلاد لم يلتق معها فيه، وتوالت اللقاءات والمكالمات والحب يزيد وتحول المشهد مع شريف إلى أنه الزوج وخالد هو العشيق وفي إحدى اللقاءات اعترض على تواجدها معه في شقة منفردة .

"أنت بتقول ايه؟!"

"ماتقعديش معاه في الشقة لوحدكم" .
"ده اللي هو ازاي ده؟"
"احنا هنستهبل، وتجيني تاني تقولي لي غلطت وحامل" .
"شريف أنت بتغير عليا؟"
"بلا غيرة بلا زفت أنت مش هتطلقي، تقعدي معاه إزاي بقى؟"
شريف يلين سريعًا ولكن في نفس اللقاء كانت هناك محادثة أخرى مع عماد .
"بقولك ايه يا عماد ما تيجي تروحني" .
"وأنت عربيتك فين؟"
"مش قادرة اسوق والله" .
تريد ياسمين كل شيء .
"عماد احنا اصحاب صح؟"
"هو إحنا كنا أصحاب وبس؟"
"طب هسألك سؤال غريب" .
"قولي" .
"أنت بتقعد قد ايه مع مها وأنت نايم معاها؟"
"نعم ياختي" .
"عايزة اعرف، في ايه عادي" .
عماد أيضًا بنفس مقدار ياسمين من المكر وبدأ خطوة سريعة .
"هو خالد ايه، فسسس؟؟"
"اسكت بقى" .
"يبقى فسسس" .
هي اللحظة التي وضع يديه على كتفها وتركها لتقف عند صدرها .
"طب ما هو لسه كويس اهو، ماله خلود بقى" .
"بس يا عماد ايه ده؟"
ولأنه عماد لم يتوقف واستمر حتى وصل إلى اللحظة التي جعل ياسمين تغمض عينيها وتستمتع برعشة شهوة فقدتها منذ فترة طويلة ولم يقطعها سوى رسالة

من شريف: "أنت فين روحتي ولا لسه؟" وبمجرد أن تركت عماد اتصلت به .
"شريف ماتيجي البيت محتاجاك ضروري" .
"ما أنا كنت لسه معاكِ، حصل ايه؟"
"تعالى بس الشقة ضروري" .
"شقتك ازاي ولو مامتك شافتني؟"
"لا ماتخفش مافيش حد" .
"طب لما مافيش حد آجي أنا ازاي؟"
"ايه يا شريف هو احنا صغيرين" .
أغلقت نور الصالة وتركت ضوءًا ضعيفًا يتسلل من إحدى الغرف الجانبية، اتخذت قرار ممارسة علاقة كاملة مع شريف هو المتاح الآن، عماد رفض الفكرة لأنه متزوج هو لا يمانع مداعبتها، ولكن رافض للعلاقة الكاملة أما شريف فلا، تركت قميصها مفتوحًا كعادتها وهي صغيرة وإن زاد عدد الأزرار المفتوحة وجيب قصيرة، بمجرد أن دخل شريف تعمدت استثارته لم تقترب منه وإنما تركته يلتهم جسدها بعينيه وهي تضع له عصيرًا وقطعة من الحلوى، جلست بجانبه ووضعت رأسها على كتفه .
"تعرف يا شريف أنت الوحيد في الدنيا اللي بحس معاه بالأمان، أنا ندمانة على كل لحظة ماكنتش معايا فيها، أنا بحبك قوي" .
أخذ شريف نفسًا عميقًا وأغمض عينيه في محاولة لكبت مشاعره وشهوته التي تلتهم جسدها، حاول جاهدًا أن يستعيد قوته وهو طفل وهو يحاول تجنب شهوته ولكن إيمانه كان أضعف من أن يمنعه .
"ما هو أنا قلت لك من الأول كل ده كان غلط جوازك كان غلط" .
كان صوته ضعيفًا ويتلعثم في الكلام حين خطت خطوتها الثانية وهي تنظر إلى وجهه وتقترب منه وتطبع قبلة على خده، احتضنها ومارس معها علاقة كاملة وما أن انتهيا .
"شريف أنت مش أول مرة تنام مع واحدة أعترف" .
"لا والله أنت أول واحدة، وماتخلينيش أندم، أنت هتطلقي؟"

"شريف أنت جامد قوي وهاتطللق عشان خاطرك" .
لم يكن في نية ياسمين الانفصال على الإطلاق هي تريد أن تستمتع بثلاثتهم، خالد والصورة الاجتماعية، عماد وصورة العشيقة، وحب شريف .
كانت الخطيئة الأولى في حياة شريف حين مارس مع ياسمين علاقة جنسية كاملة، عاد بعدها إلى منزله ودون أن يلقي التحية على أحد دخل إلى غرفته وأغلق جميع الأنوار ودفن نفسه تحت الغطاء وكل أمانيه أن ينام في أسرع وقت ممكن، خوف سيطر عليه لأيام، أصبح يخشى أقل ضوء حتى أن ضوء الثلاجة كان يثير فيه الرعب، رغم هذا الخوف كان في حالة من الدهشة عما بدر منه، كيف استطاعت أن تغويه كيف استطاعت أن تُقنعه أن يمارس معها علاقة كاملة، كيف اقتنع وهي لا زالت على ذمة رجل آخر، كيف أقنعته أنه لا يوجد مجال للعودة إلى زوجها، وأنها في أشد الاحتياج له، سؤال لا زال مستمرًا معه وهو يدرك أنه مهما طال الوقت، سيقتص الله من فعلته، وظل يستغفر كثيرًا ولا يزال يستغفر فقد يغفر الله له ويصون أهل بيته .

***

"أنت زعلت عشان قلت إنك السبب؟"
"لا مازعلتش" .
"طب اتغيرت كده ليه؟"
"عشان افتكرت أنا ايه، عشان لما قريتها عرفت إني كنت بكتبها بمزاجي" .
"هي ايه دي؟"
"روايتي يا حبيبة، أنا كنت الصاحب الخامس، الصاحب المنسي، اللي بيفتكروه لما يكون عندهم مشكلة واجعة قلبهم، كنت دائمًا موجود ليهم، بس كنت لوحدي، عمر ما في حد فيهم سألني مالك؟ لا باحب ولا باتحب أو باتينل، كنت محرم للبنات وأجدع راجل للولاد، أنا كنت ترس صغير قوي لما ساعة قلبهم تقف يحطوني عشان ترجع تلف، تعرفي أنا بقيت دكتور عشان مابقاش لوحدي، أنا اتعودت إن الناس تفضل محتاجة لي، عشت عمري كله يا حبيبة من غير أصحاب، وكان لازم اكتب روايتهم عشان اعرف أقرأ روايتي، كان نفسي كلهم

يكونوا مبسوطين" .
"حلمي، أنا آسفة" .
ترك حلمي القلم وتوقف مع المؤشر وأنا أخبط بقبضة يدي على المكتب، ظللت أبحث عن السعادة في الجميع ولم أقو على خوض تجربة كاملة لأجد فيها سعادتي كم أحقد عليك يا حلمي .
نظر حلمي إلى حبيبة بابتسامة .
"على ايه أنا اللي نفسي اعتذر لهم، أنا كنت شريف اللي ماقدرش يثني خالد عن قراره وياسمين اللي ماخلتش هبة تكلم عماد تاني، أنا كنت فاشل إني أنقذ ياسمين من نفسها بس كنت بحاول، ماكنتش عايز حد فيهم يخون" .
احتضنت حبيبة رأس حلمي .
"عمرك ما كنت فاشل، ولا محتاج تقول حاجات كثير عشان تقول إنك مش بتخوني، مش ده اللي أنت عايز تقوله من الأول، أنا حفظاك يا حلمي" .
"لا خونتك" .
تختفي أصوات أبواق السيارات تدريجيًا مع كل لحظة تمر وتتباعد أضواء السيارات، هدوء يخيم على النيل وظلمة تخفي قبح التلوث الصباحي، سكون الليل يجتمع مع ضحكات أنثى تتلوى تحت سيدها وصوت خافت لمحب يتذلل لأنثاه أن تقبله كحبيب، بكاء رجل يجامع كبرياء امرأة على أصوات أغاني الحزن العتيقة، وأحلام تموت مع كل دقة من بندول ساعاتي ووميض مؤشر يصارعني .
"ويبقى الحال،
أسير ترحال لتلك اللحظة من عمري،
تهون أهوال . . . تشيل اللسعة من جمري
وقمري بعيد ما بين اللحظة والثانية
في حلم جديد
سنين عدت قصاد مني
كان الحلم اللي كان مني
بقايا سواد ليال طوال

وأنا شايل فتور اليأس
من عقلي لكن قلبي
ما بين دقاته مستني
لتلك اللحظة من عمري
وعلى ده الحال
حمام طاير بلا جناحات
صور من كتر حركتها شايفها سبات
وصوت سومة تحول بفعل الحال
إلى دوشة في مهرجانات
وأنا وهي ما بين أطلال
على ده الحال
لتلك اللحظة مستني
أشوف حلمي كما إني
في عتمة ليل بشوف نورك
كحلم بديل بدل حالي
وأنا في حالي بعيد تسابيح
باستغفر وباستنفر من الواقع
وشوق حلمي كما الراجع
من النكسة ومتمسك بصوت لسه
على ده الحال
في بكره جديد بلا أوهام
يجوز مستني يتغير أو أتغير
وأنا وحلمي في كل محَال
وفي الرحلة كاتب جملة
دوام الحال يا حلمي محال"

(٩)
حياتنا

«وافتكرت»
محمد حماقي
ألبوم ناويها - ٢٠٠٨

لديكِ سرٌ لا يعلمه أحدٌ سواكِ!

"هبة، ليه من بعد عماد اخترتِ شريف؟ الفرق بينهم كان كبير قوي" .
"شريف عوضني عن مشاعر كثير قوي غير أن تدينه كان لذيذ ولايق على تديني" .
"يعني ايه لايق؟"
"شريف بالنسبة لي المتدين بعد شوية شقاوة" .
"عرفتِ منين؟"
"ايه يا دكتور أنت نسيت أنا كنت أزاي، ربنا يغفر ويسامح بقى" .
"آمين، أخبارك ايه مع شريف؟"
"نفس المشكلة، أنا اللي بعمل كل حاجة وهو بيعتمد علي بشكل مبالغ فيه" .
"تعرفي مشكلتك ايه؟"
"ايه يا دكتور؟"
"أن أنت وجوزك مش فاهمين دور كل واحد" .
"أنا بقوم بدوري كويس جدًا" .
في ساعة مبكرة جلست هبة في إحدى الكافيهات المخصصة للسيدات، وأخرجت جهازها اللوحي وبدأت في الكتابة .
بحثت عن نفسي كثيرًا بعد انفصالي عن عماد، لا أنكر أنني كنت على مقدار من الجمال، مما دعا الكثير لمحاولة الارتباط بي، ولكني رفضت الجميع كنت أحب عماد، بحثت كثيرًا عن أخباره وانتظرته سنوات، أعترف أنه لو كان عاد وحاول مرة واحدة أخرى لكنت عدت ولكنه لم يعد، كان علي أن أبحث عن شيء جديد وبحثت كثيرًا إلى أن هداني الله .
"ايه اللي أنت لابساه ده؟"
أمام مرآتها وقفت تحاول لف حجاب حريري .
"ايه يا ماما بجرب الحجاب بس" .

"في أيه يا هبة أنت مخبية عني حاجة؟"
"لا خالص" .
"أنت بقيتي مختلفة من بعد انفصالك عن عماد" .
"يا ماما عدت سنين وخلاص مافيش عماد" .
"يا بنتي وأنت بقيتي حد تاني ومن ساعتها قافلة على نفسك" .
"أنا زي الفل يا ماما، ممكن تسيبيني لوحدي شوية، أنا تعبانة" .
تركتها الأم ونظرت هبة في درج مكتبها لتخرج وللمرة الأولى في حياتها شريط ديني .
لم تعترض أمي فقط .
ياسمين: "هبة اللي أنت فيه ده هبل" .
غادة: "فاكرة يا هبة زمان لما كنت بقولك الارتباط ده عبط لازم تفوقي" .
مها: "ماينفعش قطة الشلة تبقى مطفية كده" .
توقفت هبة قليلًا عن الكتابة للصلاة ثم توالت الأحرف أمامها .
فقدت اتزاني مع هذا الشعور بالفقد، لم أعد الأميرة التي تلهب الأبصار ببريقها، لم أعد سوى جسد بلا روح، انقطعت عن عالمي وظللت حبيسة حزن رفضت أن أبوح به لأحد، ظللت تائهة لسنوات إلى أن تغير كل شيء بعد أول لقاء لي مع إحدى الداعيات - أم إكرام - كما كانوا يلقبونها، هذه الأم الرائعة التي حاولت بلين أن تُصلح ما أفسدته أسر كثيرة ومجتمع من أخلاقيات وأساسيات الدين، كان هدفها أن تضعنا على أول طريق الإسلام الصحيح، الدين الذي كرم المرأة كما لم يكرمها أحد، كانت تحمل شهادات أزهرية وأخرى من دول إسلامية وجامعات عن الشريعة والأحكام، متخصصة في علم النفس وطبيبة بشرية ومع كل هذا كانت ابتسامتها تأسر طلابها، تدريجيًا ومع نصائح أم إكرام بدأت أعود إلى روحي، ومع الوقت بدأت في نسيانه ليس لأنني لم أعد أحبه ولكن لأن العلاقة دون زواج حرام شرعًا .
استطاعت محاضرات كثيرة للشيخ يعقوب وخاصة وهو يقول: "يا من تبحثين عن الحب يا من تبحثين عن الأمان، يا من من تبحثين عن الاستقرار، يا من

تبحثين عن الحياة والسعادة - ومثلها للشباب - لن تجدوه إلا بالدين"، ثم يقول: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار" . وشيئًا فشيئًا بدأت أخرج من حزني إلى أن رحل تدريجيًا من قلبي، وإن ظل ذكرى .

أغمضت هبة عينيها قليلًا ثم أكملت .

سيطر حلمي ومها على عماد حتى تقدم لخطبة مها، رغم التحفظ الذي أبدته والدتها خوفًا من خوض تجربة جديدة فاشلة، ولكن مها كان لها رأي مغاير، هي لا تريد أن تبقى بلا زواج وحلم الأمومة كان يراودها وعماد صورة مثالية للزوج، له شخصية مستقلة، مستوى اجتماعي يتناسب مع أسرتها، ولو كان هناك حب لاكتملت الصورة، لقد فقدت هذه الفتاة متعة الحب منذ أن خانها خالد .

"دي المرة الأخيرة اللي بحذرك فيها يا بنتي، الفرح قرب وأنا مش شايفة في عينيك لمعة حب ولا سعادة" .

"حب!! أنت عارفة يا مامتي الحدوتة والسعادة احنا ممكن نخلقها" .

"خايفة عليكِ" .

"أكيد مش هايحصل أسوأ، أنا حاربت المرة دي ومش كل مرة هخسر" .

بالنسبة لعماد كانت مها لحظة السكون التي انتظرها لسنوات بين لحظات متعة زائفة، ومع إصرار مها لم يكن لديه خيار، مها كانت النهاية السعيدة لروايته كما يظن، لم يرتكب أي خطأ في الفترة الأولى، كان صريحًا معها إلى أبعد الحدود، لم يدخل في أي علاقة بعد زواجه إلا حين ظهرت ياسمين من جديد، ورغم كم العلامات التي أرسلت له من السماء لم يتعظ، ظل بلا وعي حتى أكتشف أنه كان ضحية متعة سخيفة، كان يسدد دين ما فعله بكثيرات قبل زواجه، ولكن اللحظة التي شعر فيها بالندم، توقف عن النظر إلى مها ولم يقو على رفع عينيه وهي تتحدث معه وبدأ يبتعد عنها شيئًا فشيئًا، وعلى الرغم من أن حياتهما بلا قلب، لاحظت مها أن هناك اختلاف في معاملته استفزها كأنثى .

"مالك يا عماد؟"
"ولا حاجة مشغول بس بشوية حاجات" .
كان حلمي قد أدى دوره مع مها على أكمل وجه، استطاع أن يعيد لها طاقتها وتفاؤلها وبلا مقدمات وقفت وكأنها تلقي محاضرة أمام جمع من الناس .
(دفتر الملاحظات - الملف الرابع - الاحتياج)
"يمكن حياتنا مملة وأنا معترفة بكده، يمكن حياتنا ماشية بالورقة والقلم يمكن عقلنا اللي مسيطر، جايز نكون مش بنحب بعض بالصورة اللي كان نفسي فيها، حاجات كثير قوي بس الحاجة الوحيدة اللي مش هاينفع أفرط فيها أن احنا نتكلم" .
دبت الحياة في هذا المنزل من شرارة أطلقتها مها دون أن تشعر .
"مدام بتتكلمي بصراحة، أنا كمان هتكلم بصراحة، أنا عملت غلطة وغلطة كبيرة قوي" .
وقفت مها أمام مكيف الهواء مباشرة في محاولة لأخذ أكبر قدر من الأكسجين، كان أمامها خياران إما أن تطلب منه الحقيقة كاملة التي هى بلا أدنى شك علاقة بامرأة أخرى بحكم معرفتها بماضيه وتنتهي الزيجة أو أن تستغل الموقف لصالح حياتها .
"طب لو قلت إني مسامحاك ومش عايزة أعرف تفاصيل؟"
بدهشة على رد فعلها .
"بالسهولة دي؟"
"لا مش بالسهولة دي، محتاجة مقابل ده حاجة" .
"مقابل!!"
"توعدني إنك تروح عند الدكتور بتاعي، هو طالب يشوفك" .
"أنا مش مجنون على فكرة" .
"يعني هو أنا اللي مجنونة، بس أحب أؤكد لك إني لو ماكنتش روحت له كنت أكيد هتجنن" .
"يا مها" .

"شرطي الوحيد وأقسم بالله مسامحاك" .
لم يسامح شريف نفسه على الخطأ الذي ارتكبه في حق نفسه أولًا وفي حق زوج ياسمين ثانيًا، ظل لأيام حبيس منزله يتحاشى الأضواء حتى ضوء هاتفه كان يخشاه، وإن كان مع الوقت بدأ في العودة إلى الحياة الطبيعة من جديد .
"ايه يا شريف أنت فين؟"
"أنت عماد!!"
"مش عارف صوتي؟"
"معلش كنت نايم بس ومش واخد بالي" .
"أنت مختفي بقالك كثير، المهم البس هاعدي عليك أنا خارج النهارده مع جماعة اصحابنا" .
"مها معاك؟"
"لا هو أنا عبيط!"
"رحت للدكتور بتاعها" .
"رحت يا سيدي هابقي أحكي لك" .
كانت المفاجأة حين رأى شريف ياسمين بين الحضور ومعها خالد زوجها ظهر أقل من ربع الساعة ورحل وتركها، نسي شريف كل ما فعلته بمجرد رؤيتها، ظهرت مشاعره ولم يستطع أن يخفيها في نظراته ومحاولاته المستميتة للتقرب منها، لاحظ عماد وتوجه إلى ياسمين .
"ماله شريف؟"
"ايه ده أنت قررت تعطف علي وتكلمني تاني؟!"
"إخلصي" .
كان عماد قد قطع علاقته بياسمين بعد وعده لها .
"ماله يعني؟"
احتد عليها .
"أنت مش واخده بالك بيعمل ايه؟!"
"بالراحة هاقولك بس احلف إنك مش هاتقول له لأحسن شريف طيب" .

"في ايه؟"
"بيحبني يا عماد وبيرسم خيالات في دماغه" .
"يعني مافيش حاجة!"
"أنت هتستهبل ولا ايه؟"
"مش فاهم والله" .
"بيحبني يا سيدي ومتخيل إني بأحبه وبيجري ورايا" .
"طيب كنتِ عرفيني وأنا أوقفه" .
"لا اوعي، شريف طيب وغلبان أنا بأعرف أوقفه" .
انتهى الحفل وفي طريق عودتهما حاول عماد أن يقدم له يد المساعدة .
"أنا مش عارف ابتدي منين" .
"عايز ايه؟"
"ياسمين" .
"مالها؟"
"ياسمين وخلاص" .
"ايوه مالها يعني؟"
"بلاش" .
بعد دقائق من الصمت .
"بلاش ليه يا عماد هي هاتطلق واحنا متفقين على كل حاجة" .
للحظة حاول أن يتذكر كلام ياسمين ويقنع نفسه أن شريف يرسم أوهامه ولكنه أكمل .
"متفقين على ايه؟"
"على كل حاجة" .
"اللي هي ايه؟"
"أنت صاحبي وأنا هاقول لك، خالد وياسمين هيطلقوا قريب جدًا هي طلبت الطلاق خلاص، عشان خالد بني آدم زبالة وبيعاملها بمنتهى الحقارة غير إنه بيعمل مصالح عليها و . . . . ." .

"لا استنى بيعمل مصالح ازاي؟"
سرد شريف مشاكل خالد وياسمين بتفاصيلها والتي أخبرته بها من قبل بكامل تفاصيلها، ولأن عماد قد خاض تجارب كثيرة أدرك ما فعلته ياسمين .
"أنت وقفت العربية ليه؟"
"لا تعالى ننزل نشرب حاجة بقى الموضوع كبير" .
وكانت الصدمة التي اهتزت لها سنوات شريف الأخيرة، سنوات ضاعت في اللهث خلف ياسمين، سنوات فقد فيها متعة الحب بسببها .
كان قرارهما سريعًا بالبدء في أخذ الثأر مما فعلته بهما، عماد خسر هبة من قبل بسببها، وكاد أن يخسر مها، وشريف خسر كل شيء .
كان الأسهل إلقاء اللوم عليها ولم يفكر أحد منهما في خطيئته، شريف الذي خان زوجها، وعماد الذي خان كل من ارتبط بهم بسببها .
توقفت هبة عن الكتابة حين حان موعد الصلاة .

***

"وائل أنت ليه خليت والدك هو اللي يطلق مها؟"
"أنا كنت قدامها ضعيف قوي وكنت حاسس قد ايه هي كويسة، بس المشكلة إني ماكنتش قادر أبص في عنيها لحظة الطلاق" .
"يعني أنت ماكنتش عايز تطلقها؟"
"والله يا أبو الأحلام أنا أساسًا ماكنتش عايز الجوازة دي تتم، بس تخيل نفسك كده وأبوك بيكلم مراتك ويقلها اقلعي الحجاب قدامه، أكيد أكيد قالت علي مش راجل" .
"وأنت ليه ماكلمتهاش تفهمها؟"
"عشان أنا بقى شكلي عيل صغير خلاص مش هاعرف ارفع عيني فيها، وبما أن كده كده منظري كان زفت، فبابا خلص الموضوع" .
"سؤال أخير، هي مكالمتها الأخيرة فرقت معاك ليه؟"
"عشان ببساطة يومها قفلت السماعة ورحت قلت لبابا عايز تتجوز أنت اتجوز، انما أنا مش هاخليك تجوزني وكفاية سيطرة على حياتي، بس تعرف المكالمة دي

خلتني اتنيل واتجوز غادة ماكنتش متخيل إنها كده" .
أنهى وائل عمله واتجه إلى المقهى، ثم تابع وميض المؤشر أمامه وبدأ في السرد .
***

(دفتر الملاحظات - القلب)

مرت سنوات زواجي -أنا وغادة- الأولى بدافع الشوق، ولكن مع الوقت انتهت قوة هذا الدافع وبات علينا أن نجتهد أكثر ولكننا تكاسلنا، تخلت غادة عن حكمتها وبدأت في إتقان دور الأنثى الشرقية في تضييق الخناق علي، شك مستمر في كل تصرفاتي وتهديدات بالرحيل، بدأت قصة الحب في التحول تدريجيًا إلى معركة لا بد أن تنتصر فيها، وكلما زاد انتصارها زادت نشوتها ومع انتصارات متتالية وهروب مستمر مني، ازدادت الفجوة ولم يكن الحب وحده يكفي للصمود أمام هذا الكم من الصراع، تحولت غرفة معيشتنا إلى سجن، بمجرد أن أدخل ودون أن ألقي التحية أتوجه إلى التلفاز لأشاهد إحدى مباريات كرة القدم، ولأنني أعلم أنها لن تتركني أنعم بالهدوء وأنها ستعترض على المباريات، ابتعت شاشة جديدة بخاصية العرض المزدوجة وتحول المشهد الذي رسمناه سويًا لغرفة معيشة رومانسية إلى غرفة سجن مزدوجة .

أصبح امتزاج اللون الأبيض والبنفسج يثير الشجون، الأريكة التي اخترناها لتجمعنا كانت أشبه بسياج من حديد، حتى الصور التي كانت تشبه تلك المعلقة في "سوا"، تحولت ألوانها لتصبح مزيجًا يثير الرعب، الرُكنة التي اخترتها للاستمتاع باتت الأتربة هي من تستمتع بها، أجلس لأشاهد إحدى المباريات أو أجري حديثًا سريعًا على هاتفي وهي تضع السماعات لتشاهد برامجها المفضلة، مع الوقت انتهت قصة الحب وارتفعت حدة الخلاف أمام دهشة الكثير من عائلتنا وأصدقائنا، غرورها وكبريائي دفعنا لعدم الاعتراف بأخطاء كثيرة، وعلى الرغم من إني كنت أسير بخطى ثابتة في أعمالي لكنها حاولت السيطرة على حياتي .

"أنا قاعد وكل شوية بحاول أحايلك، أنا زهقت" .

"أنت بتحايلني، أنت على طول محسسني إني عندي عقد" .

"أنا؟! أنت مش طبيعية، على طول بحاول اقف جنبك وأنت بتحاولي تسيطري على كل حاجة" .
"أنا اسيطر عليك هو أنت مش واخد بالك أنت أزاي مش مهتم، أنت على طول بتحسسني باللي أنت عايزه وبس، عايزني ابقى مبسوطة وقت ما تحب وتحبطني وقت ما تعوز، أنا زهقت" .
"أنا مش عارف أقول غير إنك أسوأ غلطة في حياتي" .

***

توقف حلمي قليلًا عن الكتابة وهو يخرج الملف الأول ويقرأ منه .
تحولت غادة إلى صورة من والده وهي تحاول التحكم فيه، ومع محاولات السيطرة المستمرة، صب وائل غضب سنين عمره من والده وسيطرته عليه إليها، غادة التي لم يعرف قلبها الحب إلا مع وائل رفضت جميع محاولات الصلح، أعلنت كثيرًا أنها تشعر بالندم على زواجها أما وائل كان يبحث عن راحته ولم يهتم بشأنها، وانخرط في أعماله وكان دائم اللوم عليها أنها تعترض طريق نجاحه، ظل وائل يهاجم سيطرتها بعنف إلى أن تذكر حاله مع والده وتذكر مكالمة مها له بعد الطلاق، أُثيرت ذكريات سيئة داخله، وظل يخزن مشاعره السلبية إلى أن كانت اللحظة التي انهارت فيها كل المشاعر .

***

فك وائل رابطة عنقه قليلًا ثم عاود الكتابة .
لا زالت هبة وحيدة وإن استعادت كثيرًا من ثقتها في نفسها، أخذت وقتًا في التفكير بين ارتداء الحجاب من عدمه، صراع نفسي كان لعماد تأثير غير مباشر فيه، عماد كان يرفض أن ترتدي الحجاب، وظل لسنوات يغذي عقلها الباطن أنها سوف تبدو أكبر سنًا إذا ما ارتدته، رفضت الكثير ممن تقدم لخطبتها حتى دب الشك في قلب أمها .
"هو أنت مش عايزة تتجوزي ليه؟"
"ماما أنا مش هاتجوز كده وخلاص، لازم أكون مرتاحة قوي" .
"ولا يمكن مستنيه عماد؟"

"عماد خلاص يا ماما، خلاص من زمان، وماتفتحيش الموضوع ده تاني عشان خاطري" .
"يا بنتي ده خامس عريس ترفضيه" .
"مش أنت دائمًا كنتِ بتقولي إني هاختار أحسن واحد في الدنيا سيبيني بقى أختار" .
ترك وائل وميض المؤشر وحيدًا وهو يطلب تغيير حجر المعسل الخاص به .
مشاعر هبة غير مستقرة وإن كانت مشاعر ياسمين الآن في أوجها، هي لا تشعر بأي ندم وهي تجلس مع شريف .
"تعرفي أنا بحلم باليوم اللي هنتجوز فيه" .
"بجد يا شريف؟"
"بأعد الأيام يوم ورا التاني لحد ما تخلصي من الزفت ده" .
"يا رب يا شريف" .
"بس ايه الصور اللي بعتيها امبارح دي، أنت أول مرة تعملي كده" .
"شريف أنت خلاص تعتبر جوزي ولا أنت نسيت اللي حصل، تيجي نسافر أنا وأنت الساحل يومين لوحدنا" .
"والله فكرة بس هتقولي ايه للزفت ده؟"
"هاتصرف" .
جلسة رومانسية ومحاولات مستميتة من شريف للسيطرة على مشاعره نصف ساعة، مرت عليه في كل ثانية فيها يود أن يضربها بكل ما أوتي من قوة، ولكنه استمر واقترب منها وهو يفتح هاتفه المحمول ويشير إلى الصور التي أرسلتها له في اللحظة التي دخل فيها عماد، ابتسم عماد وبكل ثقة نظر إلى ياسمين .
"ايه ده الصور دي عندي أنا كمان" .
لحظة من الصمت بين ثلاثتهم ونصب شريف المحاكمة .
"ليه!! عملت في كده ليه!! اشمعنا أنا وهو!! ما كنتِ تشوفي ليك اي كلب من الشارع ينام معاكِ" .
تدخل عماد في هذه اللحظة في محاولة منه لتهدئته .

"شريف احنا اتفقنا على ايه مش عايزين فضائح، صوتك" .
اللحظة التي تحدثت فيها ياسمين .
"اتفقتوا!!"
"هو أنت فاكرة ايه يا حلوة! احنا لعبنا بيكِ براحتنا قوي ولسه ها نلعب قولها يا عماد، ولا أنت فاكرة اللي أنت عملتيه ده هايعدي كده" .
وبرغم غضب شريف إلا أنه حاول أن يتحدث بهدوء وأكمل .
"أنت عقابك الوحيد إنك تفضلي متجوزة خالد ده، ووحياة أمي لو ما اختفيتي من حياتنا وحياة أي حد نعرفه لنفضحك فضيحة اقسم بالله ما في زيها، ومش هاتعرفي تنامي حتى في بيتكم، وبنتك هاتعرف كل حاجة مش دي اللي أنت خايفة لتعرف إنك شر . ." .
"شريف، اهدي شوية" .
"اهدي ليه؟ هي لسه شافت حاجة وبصي لو عرفت في يوم إنك اتطلقتي، بنتك هيكون عندها كل صور أمها ولو سافرتِ آخر الدنيا، أنت اللي زيك لازم يعيش في ذل باقي حياته" .
نظرت ياسمين إليهما وهي تحاول ألا تبكي .
"وأنت رأيك ايه يا عماد أنت كمان؟ عايز تضيف حاجة؟"
تأثر عماد بانكسار ياسمين ولم يجب .
"أنتم الاثنين بتلوموني كأني أنا السبب لوحدي، لا معلش بقى شريف أنت عارف إني متجوزة وحصل اللي حصل ولو ماكنتش عرفت حاجة كنت هتعمل كده معايا كثير، وأنت يا عماد ايه مش واخد بالك إنك متجوز، مش واخد بالك إني دائمًا كنت موجودة من وأنت مصاحب هبة ايه هتعمل قديس دلوقتي، أنا هابعد مع انكم مشتركين معايا في الذنب بس هابعد عشان خاطر بنتي، هابعد عشان هي أهم حاجة في حياتي ومش أنا لوحدي اللي غلطانة" .
بعصبية تحدث شريف .
"أنت ليكِ عين يا . . . ." .
كانت على وشك أن تهاجم أكثر وتبرر لكنها فضلت الصمت، هي تعلم أن

الخطأ الذي وقعت فيه لا يغتفر وأنها كانت أضعف من أن تطلب من الرجال أن يتوقفوا عن حد معين كانت ضعيفة ولكن ضعف شريف وعماد كان أقوى .
ظل شريف يعاني كثيرًا حتى وجد راحته في الالتزام الديني وبدأ يشغل روحه ويعيش في سكينة الإيمان، وبعد سنوات رشحت له إحدى زوجات أصدقائه هبة، هبة ظلت فترة ترفض من يتقدم لخطبتها كان شرطها الوحيد هو أن يكون ملتزم دينيًا وكانت الصورة الأمثل في شريف، ورغم اعتراض الأسرتين إلا أنه وجد فيها صورة لأمه، تلك الصورة التي رفضتها هبة فهي زوجته وليست والدته، ظلت الصدمة التي عاشها شريف تؤثر في شخصيته، أصبح دائم الشعور بعدم الثقة تلك المشكلة زادت داخله مع كل مرة حاولت فيها هبة أن تحل مشاكلهم بمثالية، كان يشعر فيها بضعف في ثقته بات يحاول كثيرًا وهي ترفض محاولاته لأنها ببساطة كانت تريد محاولاته بطريقتها هي، كان حلمي هو المُنقذ حين خطا الخطوة الأولى تجاه إنجاح زواجه، هي اللحظة التي أدرك فيها أنه كان حبيس تجربة قاسية .
تابع شريف مع حلمي ووجد معه الراحة، وتدريجيًا استطاع حلمي أن يخرج كم الغضب الساكن بداخل شريف، لم يفعل شيئًا سوى أنه أفرغ مساحة كفاية داخل عقله ليتقبل بها هبة، معارك كثيرة خاضها شريف وكان لا بد من مساعدة أحد ليعود إلى نفسه، واتخذ حواره مع هبة مسارًا جديدًا .

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

"ايه الآية اللي أنت معلقها دي؟"

"الآية ٣٠ من سورة فصلت " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ" .

"أول مرة تعلق آية!"

"عايز دائمًا افتكر أن القناعة حاجة والعمل بالقناعة دي حاجة تانية خالص" .

"مش فاهمة" .

"القناعة هنا إن ربنا الله والعمل بالقناعة إنهم استقاموا وكانت النتيجة باقي

الآية" .
"حلوة فعلًا ربنا يكرمك" .
"بس أنا علقتها عشان احنا الاثنين نفتكر" .
"ما احنا بنحاول نعمل وربنا يتقبل" .
"آمين، بس مش ده قصدي" .
"قصدك ايه يا شريف" .
"قصدي أن احنا الاثنين عندنا قناعة اننا نعيش مبسوطين ولازم نعمل بالقناعة دي" .
كانت الشرارة الأولى من شريف إلى تلك الأسرة عندما تحدث بنفس لغة هبة وبدآ سويًا في حل خلافاتهما، كانت البداية وهو يعترف أنه جزء من المشكلة وبعد محاولات كثيرة بدأت تعود الحياة تدريجيًا لطبيعتها .
لم تعد حياة خالد لطبيعتها قط كانت المرة الأولى التي يتحدث فيها خالد مع مها بعد سنوات من زواجه، وإن كان الحوار لم يتعد سوى سؤال عن حالها وأحوال زواجها ولكن كان له أثر بالغ .
"أنا كنت فرحان قوي يا حلمي وأنا بكلمها" .
"عينك بتلمع كده ليه؟"
"فرحان، بس أنا كنت جبان" .
"ليه؟"
"عشان خفت أسألها بصراحة، لما سألتها عن جوزها كان نفسي اعرف هو كويس ولا لأ، للأسف تمنيت للحظة إنه يكون وحش ويسيبوا بعض، سألتها عن أولادها وكان نفسي اعرف شبه مين، عمال أفتح في كلام فاضي والسؤال كان على لساني هو أنت مبسوطة ولا لا؟ كان نفسي أكتب إني فعلًا بحبها وإني حمار عشان خونتها، كنت مستنيها تشتمني أو تزعق أو حتى ترفض الكلام معايا وماحصلش" .
وضع يده على رأسه .
"اتكلمتي معايا عادي يا مها، عادي جدًا كنت مستني منك أي رد فعل، خفت أسألها أنت نسيتيني بس كنت فرحان وأنا بكلمها، للأسف ماردتش عليا لما في

الآخر بعت: "أنا آسف يا مها" .
طلب وائل الحساب وأغلق حاسوبه .
***
تركت حبيبة رأس حلمي وجلست على الأرض ووضعت رأسها على فخذه .
"لا يا حلمي أنت عمرك ما خنت مع أن في اسم ماغيرتوش" .
"اسم!!"
"ايوه يا حلمي، مشكلتك إنك بتنسى بس، زمان حكيت لي عن بنت حبيتها وأنت صغير وكان اسمها مها" .
"أنا حكيت ده؟"
"ايوه وتعرف من زمان عارفة أن جواك حاجة صغيرة ليها، بس أنا عمري ما زعلت، أنا معايا كل حاجة فيك، ماعدا حتة صغيرة ومش فارقة معايا ومسامحاك" .
***
سنوات تمر وبعدها لا يوجد للاعتذار معنى .
في لقاء أسري وبعد سنوات جمعهما بيت أحد أقاربهما .
"مها، ازيك؟"
لم تمد يدها للسلام .
"ازيك يا خالد عامل ايه؟"
"من غير لف ودوران أنا بقالي سنين نفسي اعتذر" .
"شششش، كنا عيال" .
"لا ماكناش وأنا غلطت فيكِ غلط جامد" .
"ولا اي حاجة" .
"لا طبعًا أنا فعلًا غلطت" .
"لا أنت ماغلطتش، أنت رمتني زمان رمية كلاب، وخلاص بقى مايصحش أنا متجوزة، إزاي ياسمين جت معاك" .
"اتغيرتي يا بنت عمي" .
"كويس إنك فاكر إني بنت عمك اللي كان المفروض على الأقل تقولها زمان إنك

هترميها" .
"نفسي أعوضك" .
"عن السنين اللي كل يوم كنت بموت فيها عشان اترميت رمية مش حلوة، اطلع لمراتك حالا" .
خرج خالد وبقيت هي في الشرفة قليلًا وهي تبتسم فهو لم ينساها كما وعدته وهي قد محته من ذاكرتها منذ زمن طويل .

***

"شريف" .
"ايوه مين؟"
"أنا ياسمين" .
"ياه، أنت لسه عايشة؟"
"مستغرب من المكالمة .
"الصراحة اه، أنت ماعندكيش دم غالبًا" .
"حقك، بس أنا بحاول أعالج نفسي وانضف" .
"أنت! ياسمين أنا متجوز وربنا هداني من زمان، وبدعي في كل صلاة يغفر لي اللي عملته والحمد لله نسيت حاجات كثير" .
"بس أنا مانستش، أنت الغلطة الوحيدة" .
"بس بس الله اعلم كنت العلاقة الوحيدة" .
"والله أنا فعلًا كنت بحبك و . ." .
"ياسمين هو أنت زمان خلتيني أزور أمك ليه؟ عشان تشوفني وتقول رأيها فيَّ ولا عشان ايه؟ اتجوزتي ليه يا ياسمين وخلفتي ليه؟ كدبتي عليَّ وقلت لي أن الخلفة كانت غصب عنك وبعد كده عرفت إنك حاولتِ كثير عشان تخلفي، أنت ايه؟ إهمدي بقى؟ ربنا يهديكِ يا شيخة والله مش عايز ادعي عليكِ مش عايز" .
"خلصت، أنا بنتي ماتت يا شريف، ربنا انتقم وبنتي ماتت فرحان كده؟"
"ايه!!"

"ربنا عاقبني وحسيت بالعجز من يومها، بنتي صورتها في كل مكان حوليه، ومع كل صورة غلطة من اللي عملتها، بنتي ماتت يا شريف لو كان ده يريحك" .
"أنا عمري مادعيت عليكِ ولا على بنتك عمري" .
"المهم أرجوك سامحني، أنا مش حمل أي حاجة تاني أبوس ايدك بطل تدعي علي" .
"والله عمري ما دعيت عليك والله، وربنا غفور" .

***

"أنت بتقول ايه يا زفت أنت؟"
"ايه يا عماد مالك؟ هاتجوز" .
"وغادة؟"
"مالها غادة، عايزة تفضل معايا أهلًا وسهلًا مش عايزة براحتها" .
"واللي بينكم؟"
"بيننا ايه ما كفاية كدب بقى، أنت عايز تكدب علي ولا على نفسك ولا على مين احنا لوحدنا، أنا عايش في نكد ونكد بس أنا وائل يا عماد، اللي كان بيقلب الدنيا مسخرة بقيت كئيب بسببها" .
"طب ما الجديدة ممكن تكون نكدية" .
"مافيش حاجة مضمونة، بس أنا عايز أعيش مبسوط، تعرف أنا عارف أن الناس هتقول عني خاين بما إني راجل يعني وكلنا خونة، بس أنا مش خاين أنا هاتجوز وهاديها مطلق الحرية، أنا مش خائن أنا راجل وزي كل الرجالة بزهق بسرعة، تعرف يا عماد احنا أطفال وبنحتاج معاملة مختلفة، شوف الطفل بيحتاج ايه شوية دلع وحنان ومغفرة وده مش موجود أعيش معاها ليه؟"
"طب ما أنا ومها عاديين" .
"عاديين فاممكن تعيشوا بس لما تكون عايزة تحس إنها الراجل وتقلب كل حاجة في الكون يبقى تولع" .

(١٠)
إحلم
"إحلم معايا"
حمزة نمرة
ألبوم احلم معايا – ٢٠٠٩

الواقع هو حدود حلمك .

استيقظت مها في منتصف الليل، ونظرت جانبها فلم تجد عماد، بصوت مبحوح نادت عليه أكثر من مرة فلم يستجب، نظرت إلى غرفة نومها الجديدة بابتسامة فقد تخلصوا من معظم أثاث منزلهم مؤخرًا، استطاعت مها وحدها أن تعيد الحياة إلى أسرتها على الرغم أنها اكتشفت علاقة عماد وياسمين إلا أنها قررت أن تسامحه .

"تفتكر هي سامحتني ليه يا حلمي؟"

"الخطوة الأولى لأي علاقة هي الغفران، هي كانت قوية جدًا لدرجة إنها قررت تسامح" .

أزاحت الغطاء عنها وبعين أقرب إلى النوم قامت بحثًا عنه .

"يا عماد" .

كانت سماعة الأذن تعزله عن العالم، فلم يسمع منها صوت إلا أنه لاحظ حركتها

"أنت صاحية ليه دلوقتي؟"

"أنا بنادي عليك بقالي شوية واتخضيت، بتعمل ايه؟"

"باكتب" .

"لا حوش الثقافة" .

نظر إليها بزهو .

"اه طول عمري مثقف ماخدتيش بالك؟"

"ما تمثلش اخرك ميكي" .

كشوال وضعها عماد على كتفه وألقاها على السرير .

"نامي" .

"بتكتب ايه؟ وهنام" .

"رواية" .

"رواية ايه إن شاء الله" .

"رواية، عادي" .
"ودي اسمي فيها؟"
"لا" .
"طب ايه اسم البطلة؟"
"لا هو بطل ونامي بقى" .
"مافيش بنات؟"
"لا فيها بس مش أبطال" .
"طب اسم البطل ايه؟"
"حلمي" .
"واسم الرواية؟"
"روايتنا" .
"رواية مين؟ أنا وأنت؟!"
"لا" .
تركها عماد وعاد إلى مكتبه .
أعلنت الساعة عن منتصف ليل اليوم الثاني ولم يتذوقا طعم النوم، ساعده بندول ساعته على الهدوء وضع نظارته، ثم جلس يداعب شعر حبيبة وهما يستمعا إلى موسيقاهما المفضلة .
"أنا آسف" .
"أنت لسه بتفتكر مها؟"
"أنت عارفة ايه اللي حصل بيني وبين مها؟"
"لا ومش عايزة أعرف سبب انكم سيبتوا بعض" .
"أنا عايز أقول لك" .
"براحتك" .
"أنا و مها كنا بنحب بعض جدًا، بس عمر ماحد فينا صارح التاني" .
"ازاي يعني؟"
"ماكنش لازم نتكلم عشان نفهم اننا بنحب بعض، كانت كل حاجة بتقول ده،

كفاية ضحكتها لما كانت بتشوفني" .
"أنت لسه فاكر ضحكتها؟"
" . . . . . ".
"وعمرك مانسيتها" .
عاد حلمي سريعًا إلى قلمه .
كانت مها على وشك النوم حين وصلتها رسالة على هاتفها المحمول، على جروب خاص لأصدقاء طفولتها .
ياسمين: "على ميعادنا بكره يا بنات وحياة أمي اللي مش هاتيجي هافشخ . . . ولا بلاش عشان بتزعلوا" .
غادة:"hastankom kolkom" هستناكم كلكم"
مها: "هو أنتم صاحيين ليه لحد دلوقتي؟"
غادة: "أنا قاعدة بخلص في الرواية" .
ياسمين: "دي واحدة جديدة؟"
غادة: "ايوه يا ياسمين" .
ياسمين: "اسمها ايه؟"
غادة: "روايتنا" .
ياسمين: "اوعي تكون روايتنا؟"
مها: "أنت بتكتبي عننا؟"
ياسمين: "مها أنت صاحية لحد دلوقتي؟ اعترفي هو عماد فين؟"
مها: "بموت في سفالتك" .
هبة: "أنا هاجي إن شاء الله وقوموا صلوا ركعتين يمكن تيجوا معايا الجنة" .
غادة: " looooool "
ياسمين: "حتى أنت يا طاهرة صاحية بتعملي ايه؟"
هبة: "مش هارد" .
غادة: " waV٧shtonee" وحشتوني"
ياسمين: "بكرة الساعة ٥ " .

غادة: "مستنياكم، أنا مطلقة ولوحدي" .
تركت غادة هاتفها وقبل أن تكمل الكتابة نظرت إلى الفراغ حولها وحاولت ألا تندم على فعلتها .
على الرغم من دهشتها وضعت حبيبة رأسها على قدم حلمي وسألته:
"الأسماء مش مهمة صح؟"
"ايوه الشخصيات اللي بتفرق، ماتنسيش هم عمرهم ما كانوا أصحاب" .
"طب ممكن سؤال؟"
"طبعًا" .
"أنت عمرك ما نسيت مها؟"
"بصراحة؟"
"يا ريت" .
"مها كانت حب القلب بالنسبة لي ودي حاجة ماتتنسيش" .
"ممكن اعرف ليه؟"
"في حاجات بتتولد جوانا ومش بتموت" .
"أنا مضايقة يا حلمي من اللي بتقوله" .
نظر حلمي إلى بندول ساعته .
"تعرفي أنا بحب الساعة دي ليه؟"
"ليه؟"
"عشان شغالة لوحدها ومش محتاجة الترس الصغير عشان يدورها" .
"حلمي بص أنا مابحبش جو الإسقاطات ده وأنا قلت لك قبل كده أنت تفكيرك أبعد من تفكيري أنت عميق إنما أنا لأ، أنت مانستش مها" .
لم يعلق وعاود الكتابة .
"هو أنا كان لازم أوافق على شريف!! أنا ماحستهوش ماكنتش بحبه، ماحلمتش بيه ولا نفسي وقف عشانه، ماحستش إني من غيره مش هاعرف أعيش، ماكنش زي ما هو فاكر إني بعته أو خدعته، والله والله يا دكتور حلمي أنا فعلًا ماكنتش بحبه، ليه كنت بشوف في عيونه لوم وعتاب وليه البعد؟ أنا عارفة أن القلب ده

مش ملكنا ومش بنتحكم فيه بس كان ممكن على الأقل يفهم أن الحب لازم يكون متبادل، كان لازم أكون بحبه وده ماحصلش" .
"طيب هو أنت كنتِ متضايقة لما شفتيه بعد السنين دي مع البنت دي؟"
"لا والله خالص، أنا كنت مضايقة جدًا من شكلها مش دي اللي شريف يتجوزها، كان شكلها مايص قوي وأنا عارفاهم يا دكتور وعارفة أشكالهم، تعبت منهم كثير طول حياتي، أنا حبيت شريف كأخ وعشان كده ماكنتش عايزة أخويا يتجوز دي" .
قررت غادة التوقف عند هذه اللحظة وهي تبكي بصوت مرتفع وظلت تبكي .
"أنا ووائل كان لازم نتطلق احنا مختلفين في كل حاجة، على طول فاكرني باضغط عليه مع إني كنت بحاول أساعده، كان طالع السما بطموحه وشغله، مع أن شغله على قده ومابنفعش يدي له كل الحجم ده، كان عايش الدور قوي عايش لدرجة إنه صدق إني السبب في فشل العلاقة" .
نظر عماد إلى هاتفه وهو يعلن عن وصول رسالة على جروب رجالي لأصدقائه فترك المؤشر يومض وحيدًا .
خالد: "تيجوا نتقابل بكره؟"
عماد: "والله فكرة وبالمناسبة دي ممكن اجيب حشيش معايا" .
خالد: "حشيش! أنت ايه يا ابني؟"
عماد: "يعني مش هاتشرب؟"
وائل: "أنا هاشرب وش" .
شريف: "هو انتم ماعندكوش شغل" .
عماد: "ناخد أجازة يا اخي" .
وائل: "أنا راشق" .
عماد: "ما خلاص بقى مافيش حد تاخد منه الإذن يا ابن المحظوظة" .
وائل: "اللهم ديمها نعمة" .
خالد متهكمًا: "وهو فيه أحلي من الجواز" .
شريف: "أنا هنام اتفقوا واكتبوا هنا وأنا هاجيلكم بعد الشغل" .

وائل: "بعد الشغل ولا لما تاخد الاذن" .
شريف: "لا الصراحة بعد الاذن" .
عماد:" ٥٥٥٥٥ على الرجالة "
شريف: "بلاش أنت يا عاتشفي" .
وائل: "طب أنا مستينكم عندي فى الشقة الجديدة وأنا عازب" .
ضحك عماد وهو يعيد الهاتف إلى مكانه وينظر للمؤشر من جديد وإن كاد أن يغلبه النعاس ولكنه أكمل .
احتفظت شقة غادة بشكلها إلا أنها انتقلت إلى غرفة أخيها بعد الانفصال عن زوجها، والعودة إلى منزلها القديم فتحت غرفتها لترى النور من جديد وملأتها باللون الأخضر، لم تنس هوايتها القديمة فابتاعت كثيرًا من الأسطوانات المدمجة وعادت لشجون رومانسيتها، كانت ياسمين أول الحاضرات رغم كم الحزن الذي تحمله ولكن لهذه الفتاة آلاف من الوجوه، بابتسامة تبدو أنها حقيقية خلعت حذاءها وبدأت في الرقص على إيقاع موسيقى غادة .
"يخرب بيتك طول عمرك رقاصة بريمو و مزة المزز" .
"وياريت عاجب إنما البعيد جبلة" .
"كلهم كده إسأليني أنا خلصت منه دي كانت حياته فظيعة" .
"ايه ده هو أنت جمدتي كده امتي يا بت يا غادة؟"
"قصدك على الفورمة أنا بقيت باعشق الجيم جسمي حلو صح؟"
"وبتقولي عني مزة" .
"استني هاكتب حاجة بسرعة واجيلك" .
كان وائل في الشقة المقابلة، ابتاعها بمجرد الانفصال عن زوجته، هو لا يقوى على العودة للعيش مع والده فقد ذاق منه الكثير، لم يعد وائل يريد شيئًا سوى أن يعيش كما يريد هو وفي هدوء، كانت الساعة تشير إلى الواحدة حين وصل خالد .
"هو عماد ماجاش؟"
"أنت مش قلت مش هاتحشش؟"

"أنا!! أنت هتمثل بقى ولا القعدة لوحدك جننتك؟"
"أنا اتجنن عبيط أنت ولا ايه دي العزوبية نعمة" .
نظر خالد إلى الشقة .
"ايه يا عم القرف ده مافيش كراسي؟"
"لا كله على الأرض منها وإليها يا خلود" .
كانت مها ثاني من حضر وبمجرد أن رأت غادة .
"ايه ده يا غادة هو الطلاق بيحلي؟"
"لا الهم هو اللي كان بيوحش" .
"ربنا يرزقك باللي يسعدك" .
"بصي يا مها يا حبيبتي أنا اكتفيت" .
لم تعرف أيًا منهن بعلاقة مها في صغرها كل معرفتهن كانت تقتصر على كتب كتاب فاشل، ابتسمت مها .
"يا بنتي ما أنا اتطلقت مرة ودلوقتي ربنا يخلي لي جوزي" .
"لا أنت وجوزك حاجة مختلفة عن البشر" .
ياسمين لا زالت تنظر في الثلاجة .
"احسديهم بقى" .
"ياسمين، وحشتيني أنت بتعملي ايه في الثلاجة؟"
"ماعندهاش حاجة نشربها" .
توجهت غادة إلى الثلاجة وفتحت درج خاص للمشروبات .
في هذه الأثناء وصل شريف .
"أنا قلت إنك عازب وأكيد ماعندكش حاجة تتشرب" .
"ايه يا شريف كل اللي أنت جايبه ده؟"
نظر خالد وهو ممدد على الأرض .
"عم الشيخ الله يفتح عليك" .
"اهو أنت اللي شيخ" .
لقاء حار بين خالد وشريف فلم يلتقيا منذ فترة .

"ايه اللي في الشنطة دي يا شريف أكل؟"
"أنت على طول جعان كده لا دي PS ؟"
بفرحة طفولية احتضنه وائل يا ابن اللعيبة .
كانت هبة آخر من حضر وبمجرد أن دخلت وخلعت إسدالها نظرت مها إليها .
مها: "أنت مابتكبريش؟"
هبة: "قولي ما شاء الله" .
ياسمين: "واضح أن جوزها مدلعها" .
هبة: "عيب يا ياسمين" .
ياسمين: "لا بلاش الجو ده عليا أنا ده احنا خربناها سوا" .
هبة: "ربنا يسامحنا بقى" .
بعد طول انتظار كان عماد آخر من وصل .
خالد: "فين يا ابني الحشيش؟"
عماد: "أنت مش قلت مش هاتشرب" .
وائل: "أنا لسه قايل كده ماصدقنيش" .
خالد: "وأنا من امتى مابشربش، لا مؤاخذة يا شيخنا بقى" .
شريف: "والله لولا إنكم واحشيني ماكنتش جيت عشان الزفت ده" .
اكتمل المشهد الآن، كلهم عادوا إلى طفولتهم، كل منهم خلع عباءة الصورة المزيفة التي رسمها لنفسه، الجميع يجلس على الأرض ، أخرج وائل شاشة كبيرة ووضعها أمامهم ثم قام شريف بتوصيل الوصلات، أخرج عماد قطعة الحشيش وبدأ خالد في لف السجائر .
شريف: "بصوا لفوا بقى شوية كثير عشان مش كل شوية نوقف اللعب" .
عماد: "يا ابني لف السيجارة جزء من متعة شربها" .
خالد: "مش هيفهم حاجة ده خليه كده خام" .
وائل: "لا حللوا بعدين إدوني أولعها أنا بقالي كثير ماشربتش" .
عماد: "وهو أنت أساسًا كنت بتشرب بلاش تمثيل وحياة أبوك" .
وائل: "لا بلاش ابويا" .

جلست غادة ومها على الأريكة حين احتلت كل من ياسمين وهبة كرسيين منفردين .
غادة: "أنا ماعملتش أكل تحبوا نجيب اكل ايه؟"
هبة: "مشاوي" .
مها: "موافقة" .
ياسمين: "هاقوم اطلب أنا أعرف محل كويس" .
هبة: "ايه صوت الزعيق اللي في الشقة اللي جنبك ده؟"
غادة: "ده ساكن جديد لسه مشتري الشقة" .
ياسمين: "واضح إنهم كثير مش واحد لوحده" .
غادة: "لا واحد لوحده قابلته مرة واتكلمنا وعرفت إنه عايش لوحده" .
مها: "اوبا" .
غادة: "ده مطلق" .
هبة: "وعرفتي كمان قصته؟"
ياسمين: "رقمه كام؟"
غادة: "الصراحة الواد جامد" .
كان المشهد أكثر إثارة في الشقة المقابلة، فقد بدأ الحشيش في لعب دوره بجدارة وألهبتهم حماسة المباريات، وقف خالد وهو يحتفل بأحد أهدافه في عماد لينظر من الشباك المطل على المنور ويشاهد الفتيات الأربع .
خالد: "ولا يا وائل مين المزز اللي جنبك دول؟"
وائل: "دي واحدة عايشة لوحدها تلاقيهم أصحابها" .
عماد: "عرفت منين؟"
وائل: "هو أنا تلميذ!"
شريف: "أنت يا ابني مش لسه مطلق؟"
وائل: "يا شريف يا خويا البت جامدة بشكل ومطلقة" .
عماد: "صيدة يعني" .
شريف: "ربنا يهديكم" .

خالد: "عايزين نظبط بقى" .

***

لم تستطع مقاومة النوم ورغم غضبها إلا أنها احتضنت قدميه بقوة وظلت وظل على وضعه يداعب خصلات شعرها .

"تعرفي إني بحبك بعقلى وروحي و . ." .

"ودائما في احتياج لي، أنا عرفت دلوقتي ليه عمرك ما قولت إنك بتحبني بقلبك، بس أنا عشت بالباقي سعادة ماحدش كان يتخيلها" .

ترك حلمي القلم ثم مال نحوها وبالكاد طبع قبلة على رأسها .

دقات أصدقائي المنتظمة على الباب تقطع لحظات السكينة وتفسد متعة اللحظات الأخيرة من فنجان القهوة وتعلن عن موعد اللقاء الأسبوعي مع أصدقاء يجدوا في وحدتي الخلاص من روايتهم، حان الآن موعد الانفصال عن المؤشر .

نظرت إلى الشاشة ونظر حلمي إلى أوراقه، تحدث بقلمه وتحدثت بالمؤشر .

"أنا عملت من حياتي رواية وأنت عملت في حياتك رواية" .

توقف وميض المؤشر وترك حلمي القلم .

سيرة حب

شكر خاص

إلى من ساهم في إنجاح الحلم
د. خالد الشرقاوي
أ.رانيا علي
أ.راندا الجندي
م.عمرو ابوعيطه

للتواصل مع الكاتب

facebook.com/haitham.ahmed.muhamed

الايميل

haithomaat@gmail.com

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub